obeikan.com

شراع
من أوراق الشجر

أحمد غريب - شراع من أوراق الشجر ، رواية

رقم الإيداع : ٢٠١٧/١٧٥٤٤ ISBN : 978-977-798-080-7

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره ، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صورة كانت إلا بموجب موافقة خطية من الناشر .

© دار الحلم للنشر والتوزيع

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

Mob : 00201141824562

dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

obeikan.com

شراع من أوراق الشجر

رواية

أحمد غريب

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة

جـرت العـادة أن نسـمع جملـه (كان ياما كان) فى بدايـة كل حكايـة خرافيـة

فى محاولة يائسة للتأكيد على حدوثها بالفعل ..

رغم ان الكل يعلم ، المُلقى والمُتلقى أنها لم تحدث و لم تكن أبدا ..

ورغـم ذلـك نسـتمع لأننـا نأمـل أن تعطينـا الخرافـة الحكمـة لنواجـه بهـا مـا هـو قـآدم ..

فنستعين بكان يا ما كان على ما قد يكون ..

قـد يحـدث أحيانـا بعـض مـن هـذه القصـص الخرافيـة لكـن مـا حـدث لم يحـكى ومـا حـكى كان ترميـزا لمـا حـدث ..

أما قصتنا هذه فتدخل فى إطار جديد ..

إطار يحمل قصة خرافية لا تبدأ بكان يا ما كان ..

لكنهـا كـما سـنرى فى فصـول قصتنـا كانـت وسـتكون دائمـا مـع كل اكتشـاف نكتشـفه ..

ما دام لنا عقل و قلب ..

قصتنا هذه كانت و ستكون ما دمنا بشر..

هكـذا بـدأت قصتنـا مـن العـالم الافـتراضي إلي الواقـع ، تمامـا كـما تبـدأ

معظم قصص الحب والزواج والنجاح والفشل في عصرنا الحالي..
حدث ذلك عندما نشر أحد مستخدمى الانترنت صورة لما يشبه الضريح الدائرى مقاما حول شجرة كبيرة فى جزيرة مهجورة ، عثر عليها بالصدفة عند بحثه على برنامج Google Earth، و انتشر الخبر بسرعة على الفيس بوك ، حتى وصل الى بعض من المهتمين بعلم الاثار والتاريخ ، ونشرت جريدة محلية الخبر كاكتشاف طريف
لكن علماء الآثار انتابهم شك فور رؤية الصور أن هذا ربما يكون قبر الزعيم فو الذى حكت عنه الكثير من الحكايات الشعبيه والأغانى التراثية
نسبت هذه الحكايات والأغانى الى فو أنه الزعيم الذى جلب الرخاء لشعبه بقواه الخارقه ..
فرضت الشرطه كردونا حول المكان خوفا من نابشى القبور والباحثين عن الكنوز حيث روت إحدى الحكايات أن عظام فو من الذهب الخالص وروت حكاية أخرى أن عظامه يمكن أن يصنع منها اكسيرا للحياة الأبدية ، وعلى قدر سخافة هذه الحكاية الأخيرة التى تناقض نفسها بان يكون اكسير الحياة جزء من عظام شخص مات بالفعل إلا أن الناس صدقتها ..
فى مؤتمر صحفى أعلنت جامعة محلية عن تكوين بعثة لاستكشاف المكان ، وكان ضيف الشرف لهذا المؤتمر أحد رجال الأعمال المحليين يدعى آدم ، الذى تحمس بدوره للاكتشاف وأعلن انه سيضع يخته

الخـاص الفاخـر تحـت تـصرف البعثـة الاستكشـافية و سـيتولى أمـر تمويلهـا

بهـذا أصبحـت البعثـة جاهـزة للتحـرك ، معتقـده أنهـا قـد تجـاوزت أكـبر مشـاكلها ..

لكن ما لم يخطر على بال هؤلاء العلماء ان التفسير ليس ممكنا ..

فـما لم يخضـع للمنطـق عنـد حدوثـه ، لـن يقبـل ان يخضـع للمنطـق حـين تفسـيره ..

ناهيـك عـن اختـلاف المنطـق عنـد أشـخاص بدائيـين عنـه عنـد علـماء ورجـل أعـمال فى عصرنـا هـذا ..

فـما حـدث بتفكـير عقـل بـدائى لـن يقبـل غالبـا أن يفـسره عقـل متطـور..

obeikan.com

obeikan.com

نظرة مختلفة لمشهد مكرر

تـراص العلـماء المشـاركين فى البعثـة عـلى مقدمـة اليخـت ، ناظريـن الى الشـمس و هـى تخـرج مـن جـوف البحـر ، لم يخطـر عـلى بـال أحدهـم أنهـم ينظـرون الى نفـس المشـهد الـذى اسـتوحى منـه فـو اكتشـافه الخطـير ..

أمسـك كل منهـم بـكأس مـن أفخـر أنـواع النبيـذ ، لقـد وضـع رجـل الأعـمال كل امكانـات اليخـت تحـت طلبهـم حتـى أنهـم تمنـوا أن تطـول الرحلـة كثـيرا لكنهـا لم تطـل أكـثر مـن بضـع سـاعات للأسـف..

عندمـا حطـت أرجلهـم عـلى الجزيـرة وعـلى الخليـج بالتحديـد لم تكـن الجزيـرة كـما كانـت مـن قبـل ..

وستتأكدون من ذلك عندما تعودون معى الى زمن فو ..

انكمـش الخليـج كثـيرا ، فبفعـل خطايانـا الصناعيـة ذابـت ثلـوج لم نكـن نـدرك أهميـه وجودهـا ..

فـور نزولهـا صعـدت البعثـة المكونـة مـن ثـلاث علـماء رجلـين و امـرأة الجبـل فى عجالـة ومعهـم أربعـة مـن المسـاعدين الأشـداء أرسـلهم آدم وقد كان هذا جيدا لأن الأجهزة التى اصطحبها العلماء كانت كثيرة..

نصبـوا خيامهـم الصغـيرة فـوق الجبـل بجانـب الكـوردون الـذى فرضتـه

الشرطه على القبر و شرعوا فى العمل سريعا ..
باستخدام مقشات صغيره كنسوا الموقع كله ليحددوا أولا ماهية المنطقه حول القبر ليتأكدوا انها ليست بشكل ما امتدادا له ، و لم تكن كذلك بالفعل ، كانت مجرد ارض ..
بداوا فى استخدام مجسات بعد ذلك حول القبر لزياده التأكيد..
بعدها بدأوا فى اكتشاف القبر نفسه ، حدوده و طريقه بناءه
اكتشفوا انه مصبوب وليس مبنيا ، هذا يعنى ان السبيل الوحيد لفتحه سيكون كسره فشرعوا فى وضع خطه لفعل ذلك مع المحافظه على القبر بقدر الامكان
مع نهايه النهار قرروا الاستراحة و ان يبدءوا فى العمل فى الصباح
نام العلماء و المساعدين سريعا لا من فرط الارهاق فى العمل بل من فرط الاستمتاع على اليخت
حسنا لنتركهم الان يغطون فى نومهم و نعود نحن بالزمن الى وقت حدوث قصتنا لنرى ما حدث بالفعل

obeikan.com

دارو اسم منطوق بالأرجل (سابقا)

سنسميها دارو .. جزيرة دارو

وعلينا نحن ان نفعل ذلك لأن سكانها البدائيين لم يفكروا بتسميتها، من ناحيه لأنهم لم يجدوا داع لذلك ..

فقد كانوا يكتفون إذا أرادوا الإشاره إليها بأن يدقوا الأرض بأرجلهم المذهل أن دقة الارجل هذه كانت تتغير حدتها وطريقتها كما تتغير نبرة النطق عندنا ..

فتارة يدقون على الأرض بخفة فى الاحتفآلات ..

وتارة بقوة لإثبات الانتماء وكأنهم يعزفون نشيدا وطنيا ..

ولم يكن عدم التسمية راجع لصغر حجم الجزيرة ..

فسكان القارتين الأمريكيتين لم يختارا لهما اسم قبل أن تسمى أمريكا ، فأنت لن تسمى ما لا تراه كاملا ، فما لا تراه على كامل هيئته لن تعيه ولن تفهمه ..

وليس هذا غريبا ففى بعض الأحيان لا يلتفت الإنسان لأكبر النعم فى حياته لأنه سلم بوجودها لدرجه أنه لم يعرها انتباها ..

ومن ناحية أخرى لم يسميها الغرباء أيضا ..

فلم يحاول أحد أن يذهب اليها فى تاريخ الجزيرة القريب إلا مرة واحدة ، و لم يجدوا فيها شيئا مميزا يحملهم على العودة إليها

openkan.com

وهذه كانت مما يمكن أن نطلق عليه المزايا السلبية ..

الميزة التى تنتج عن نقص يبعد عنك الطامعين والغزاة ، كخرق الخضر للسفينة حتى لا يأخذها الملك ..

وجزيرة دارو هى عبارة عن جزيرة استوائيه تقع فى منتصف المحيط .. وهى تقع فى زمن بعيد جدا ..

ذلك لأن الزمن يختلف إذا ما قيس بالتطور ، قد يكون هناك أماكن أخرى فى العالم وقت حدوث قصتنا تعيش فى عصر متقدم نسبيا ، لكنهم هنا كانوا يعيشون فى عصر بدائى ، فى أدواتهم وفى علومهم والأهم فى طريقة فهمهم للعالم ..

ولا أعرف لأى عالم يمكن أن تنسب دارو..

فلم تكن تقسيمات العالم الى أول وثانى وثالث قد اخترعت بعد ..

وهى تقسيمات أختيرت بعناية حتى لا توحى فى ظاهرها بالمهانة للمتخلفين لكن تحتفظ فى باطنها بالصدارة للمتفوقين ..

وكمجتمع بسيط لم تكن العلاقات هنا فى دارو معقده أو متشابكة بل كانت تعتمد على أول ركيزتين لإنشاء تجمع للبشر ..

الأولى هى ركيزة المنفعة المتبادلة ..

وهى التى تجعل للإجتماع قيمة وأهمية فتكون أساس تكوينه ..

والثانية هى ركيزة الامتناع المتبادل ..

وهى امتناع أفراد المجتمع عن الإيذاء وعن الظلم وعن السرقة وعن الإكراه وعن القتل وهى الركيزة التى تبقى المجتمع قائما

فإن اختفت هذه الركيزة هجر الناس مجتمعهم ..

أما عن جغرافية الجزيرة فتشغل الغابات معظم مساحه الجزيرة ويحتل جبل جزءا كبيرا منها ، ينحدر الجبل تدريجيا من الناحية المأهولة من الجزيرة أما من الناحية الأخرى فهو حاد جدا بحيث تبدو هذه الجزيرة من بعيد ، من الجانب الآخر غير المأهول منها كجبل أخضر كبير يعلو فجأة على صفحة المياه ..

وهو مشهد لم يراه أى من قاطنيها الحاليين على الأقل ..

حيث يعيشون جميعا فى خليج صغير يعتبر المكان الوحيد الذى يصلح للحياة وإقامه بيوت ، و يمتنعون عن الخروج من الخليج خوفا من الأمواج و الأسماك الكبيرة ..

هذه الاعتبارات جعلت الخليج الذى يتخذ شكل هلال أصفر بلون الرمال هو المكان الوحيد الذى يمكن من خلاله النزول الى المياه و العودة سالما ..

بعيدا الى الداخل ، أبعد مما يمكن أن يصل اليه الموج ، تتراص مجموعه من الأكواخ المتساوية فى خط منحنى يوازى انحناء الخليج، يتوسطهم والى الداخل قليلا كوخ أكبر نسبيا هو كوخ زعيم القبيلة ..

فى أحد هذه الأكواخ يعيش (فو) بطل قصتنا اليوم ..

و صديقنا (فو) هو رجل نحيف طويل القامة مفتول العضلات ، لونه يتغير بتغير الفصول ، لم يكن لدى فو أى انطباع عن نفسه

لأنقله اليكم مما قد يساعدنا فى فهم شخصيته فحتما أن شكله الخارجى ورؤيته لنفسه بالرضا أو السخط سيشكل أحد أهم عوامل سلوكه ..

لكن فو لم يكون رأيا عن شكله لأنه لم يرى وجهه من قبل ، كان يرى جسده من الإمام وذراعيه اللذين يمثلان له أسلحته الأساسية وأجزاء من رجليه من الخلف لكن لم يرى وجهه ، وبنى اعتقاده بأنه قوى على مظهر جسده ..

وهو بذلك لم يختلف عنا جميعا ، فكلنا لا ننظر الى أنفسنا طول الوقت بل نكون انطباعا ونتصرف على أساسه مع العالم ..

أما اسمه فهو لا يعدو أن يكون حرفين ذلك لأنهم فى مثل هذا المجتمع الصغير لم يجدوا حاجة لتمييز بعضهم البعض بإطلاق أسماء طويلة فقد كان عددهم كما كانت مفردات حياتهم قليلة لا تحتاج الى تمييز بأسماء طويلة ، وكان هذا الصوت ومثله باقى الأصوات التى تدل على باقى أفراد القبيلة كافيا ..

ولكن فى عالمنا استحدث الإنسان دائما أسماء أكبر فى عدد حروفها ثم استحدث أسماء أكبر فى عدد كلماتها ثم ارتد يطلق اختصارات على الأسماء الكبيرة ثم كثرت هذه الاختصارات وتشابهت حتى أصبح الاختصار الواحد يدل على عده أسماء ..

عموما تظل الأسماء فى البشر كما فى الاشياء مجرد وسيلة يستدعى بها العقل مجموعة من الانطباعات أو الافكار

obeikan.com

الفرق الوحيد أن الإنسان كلما اكتشف شيئا وعرف ملامحه اطلق عليه اسما فلم نسمع من قبل عن شيء حقيقي سمى قبل أن يوجد ..

أما الإنسان فنسميه عندما يولد ثم يحدد هو دلآلات الإسم وكم من أشخاص فى حياتنا يخالفون دلآلات أسمائهم ..

والحقيقة أن الأسماء تحتل مكانه أكبر فى تكوين الإنسان ..

لا يوجد إثبات لذلك أكثر من أنها كانت أول اختبار خضع له الإنسان لإثبات تميزه..

ففى ذلك المشهد المهيب عندما جمع الله سبحانه وتعالى آدم والملائكة ، كان الاختبار الذى اجتازه آدم بنجاح هو الأسماء ، وكانت لغتهم كذلك لغة بسيطة ، تتكون فى معظمها من أسماء وقليل من الأفعال ، فيكفى أن تضع اسمين بجانب بعضهما ليتخيل من تتحدث اليه شكل العلاقة بينهما ..

فى هذا المجتمع البكر كان هناك نذر يسير من البشر وقليل من الكلمات والأفعال وأقل القليل من الأفكار ..

الآن ، بعد أن تعرفنا على الجزيرة ..

دعونا نبدأ قصة صديقنا الزعيم البدائى فو واكتشافه الخطير ..

obeikan.com

obeikan.com

يد الشمس

استيقظ فو مع أول شعاع ضوء من الشمس يدخل الى الكوخ الذى يسكنه مع زوجته (دى) و ابنه (مو)

كانت الشمس بالنسبه له و لأبناء قبيلته مبدأ الحياة الأول

و قد علمتهم عجوز القبيلة وهم صغار ان الشمس تمد يدها لتؤلم من لا يحترم ضوئها ..

وجرب هو ذلك بنفسه مرة عندما لم يستيقظ مع أول ضوء فلسعته الشمس لسعه قويه انتفض على أثرها سريعا محاولا ان يرى يد الشمس التى سببت له هذا الألم لكن الشمس سحبت يدها بسرعة لم تمكنه من ذلك..

وقتها اخبرتهم عجوز القبيلة أن الشمس تترك أثرا فى جسد كل كسول ..

إنها تلك النقاط السوداء التى توجد فى جسدنا ..

فى كل مرة لا تستيقظ مبكرا تلسعك الشمس وتترك نقطة سوداء على جلدك ..

وأخبرتهم العجوز أن هذه النقاط تورث أيضا و توزع على سلالتك كما ولدتم أنتم أيضا بنقاط موروثة من سلالتكم ..

هـذا كان يعنـى فى وعـى القبيلـة أن مـن يحمـل حسـنات كثـيرة عـلى جسـده فهـو مـن سـلالة مـن الكسـالى الذيـن لم يسـتيقظوا عندمـا أمرتهـم الشـمس بذلـك ..

وفى مجتمـع بـدائى جـوه حـار كهـذا كان سـهلا أن تعد حسـنات الأجسـاد فـما يرتدونـه ليـس بالكثير ..

حيـث يغطـى الرجـال والنسـاء الجـزء الأمامـى مـن وسـطهم فقـط.. ومـن الصعـب جـدا أن نعـرف سـبب ذلـك ، أهـى الفطـره ، أم الحيـاء ، أم مجـرد إخفـاء الإختـلاف ..

قام أفراد القبيلة الى عملهم مباشرة ..

فلـم يكـن تبـادل السـلام أو التهنئـة بالصبـاح قـد اخـترع بعـد ولم يكونـوا يملكـون الرفاهيـة لفعـل ذلـك ، فالحيـاة عـلى جزيـرة منعزلـة ليسـت سـهلة كـما يحلـم الرومانسـيون ، فالأسـماك لـن تصطـاد نفسـها والحيوانـات لـن تسـلخ نفسـها وتـأتى الى الشـواء بإرادتهـا و لـن تقطـع الأشـجار نفسـها لتوقـد لـك عـلى الطعـام ..

أخـذ كل منهـم فاكهـة مـن ركـن الكـوخ الـذى يضعـون فيـه الطعـام ، فوجبـة الإفطـار بالنسـبة لهـم كـما أصبحـت للأسـف لكثـير مـن أسرنـا ليسـت مناسـبة للاجتـماع ..

خـرج فـو مـن بـاب الكـوخ الآن كـما خـرج كل سـكان القبيلـة مـن أكواخهـم ..

ذهـب ابنـه مبـاشرة الى جانـب الشـاطئ حيـث يجتمـع هـو وباقـى

أطفال القبيلة عند الشجرة المنحنية منتظرين قدوم العجوز التى كانت أحيانا كثيرة تقوم من النوم متأخرة ..

وعندما سألها طفل عن عدم خوفها من بقع الكسل السوداء ردت عليه بأنها لن تنجب فى سنها هذا والبقع تورث فقط أثناء الولادة وفى مرة أخرى أخبرتهم العجوز أنها تنام كثيرا لأنها تتمرن على الموت ..

وعجوز القبيلة كانت وظيفة دائمة تتولاها أكبر النساء سنا وأقلهم قدرة على القيام بأعباء الأعمال التى تتولاها النساء ..

تتولى العجوز تعليم الأطفال وشرح تاريخ القبيلة - وهو فى هذه الحالة يحتوى على قليل من الحقائق كثير من الأساطير - للأطفال الذين لا يقدرون على المشاركة بعد فى أعمال القبيلة ..

وعادة ما يكون هؤلاء العجائز مخرفات نظرا لكبر سنهم ..

وعادة ما تختلقن تفاصيل وأساطير خرافية جديدة ردا على أسئلة الأطفال وتفسيرا لظواهر الطبيعة ويغيرن كثيرا من تاريخ القبيلة ولهن هنا عذر ، فأى انسان يجد نفسه عاجزا عن إجابة أسئلة الأطفال المحيرة .. تلك الأسئلة التى تعكس ذكاء الفطرة قبل أن نبدأ فى حشو أفكار مصمتة تقتل خيالهم أو على الأقل توقفه عن النمو والظهور مجددا ..

كما أن أى إنسان لن يستطيع أبدا أن يسيطر على خياله الجامح إذا تأكد أنه يملك الصوت الوحيد المسموع ..

خصوصا إذا أضفنا الى ذلك جهل أو سذاجة مستمعيه ..

كانت هذه العجوز هى من علمت فو أيضا ..

وقد أخبرت ابنه عن بعض الطرائف مما كان يفعل وهو صغير..

لكن لم يكن مفهوم الحرج أيضا قد اخترع بعد ..

أما من الناحية التعليمية .. فعلى عكس المتوقع كان وجود العجوز المخرفة أمرا جيدا للتعلم ..

فالخروج على تخاريفها وإثبات العكس كان أمرا جيدا ..

ففى النهاية لم يكن هناك حد فاصل واضح بين تخاريفها وبين الحقيقة ..كما كانت التخاريف تفتح آفاقا وتضع تحديات كثيرة أمام عقول الأطفال ..فكما أن الأطفال بداية الجنس البشرى الساذجة .. كان هذا المجتمع البدائى يمثل بداية البشرية قبل أن تكف البشرية عن طفولتها و تكتفى بوضع تعريفات متناقضة أو على أقل تقدير قاصرة لتفسر كل شيء..

فببساطة شديدة لو لم تكن تعريفاتنا قاصرة أو متناقضة لصمدت أمام أسئلة الأطفال ..

فى عصرنا يكف الأطفال عن براءتهم عندما يتقبلوا العالم كما هو عليه لكن هنا فى دارو لم يملكوا رفاهية الكف عن التساؤل ..

ولنضيف الى ذلك أن فى هذا المجتمع البدائى كما فى مجتمعاتنا الحديثة يقيم الإنسان حساباته كلها على أساس المعطيات التى أتاحتها له معرفته دون أن يشكك لحظه فى قصور إدراكه للمعطيات

أو نقصها ..

أما زوجته (دى) فقد اختارتها له الطبيعة ..

ففى عرف هذا المجتمع كانت البنت والولد اللذان ينضجان معا يتزوجان ..

ولم يكن الموضوع صعبا لهم فى التوائم ، فلم يكن هناك طباع ليتآلفوا عليها ..

كما لم يكن هناك فروقا جسديه ملموسة بين نساء القبيلة فلكل النساء والرجال هنا لون واحد منحتهم إياه الشمس فلم يجد الخلاف طريقه لهم ..

ذلك الخلاف الأول على الأرض الذى وجد طريقه بين بنى آدم نتيجة غرور رجل رأى أنه يستحق أفضل من أخيه وتفاوت الجمال بين امرأتين لا يذكر كثير منا اسمهما ..

أعتقد أننا فى مصر أكثر الشعوب إحساسا بلعنة الجمال هذه ، فأول ما يأتي على لسان معظمنا عندما نرى جمال صارخ هو أن نلعنه وندعو أن يخرب بيت هذا الجمال ..

هذا لم يمنع أن الخلاف كان موجودا على الطعام فى معظم الأحيان، لكن مع أول جريمتى قتل .. مات فى الأولى الرجلين المتقاتلين معا ، وفقدت القبيلة اثنين من رجالها ..

أما فى الثانيه فمات واحد و ظل الآخر على قيد الحياة وقد عوقب الناجى بأن يكون مسئولا عن جميع مهام القتيل بما فيها زوجة

القتيل وعائلته ، وكان هذا رادعا بما فيه الكفاية ..

عند هذه النقطة رأى زعيم القبيلة وقتها أن القبيلة لصغر عددها لا تحتمل مزيدا من الصراعات ..

كان هذا ما رسخ أيضا فى وعى أفراد القبيلة البدائى .. ففرض السلام نفسه بدافع الضرورة ..

كانت دائما عواقب الحرب هى أكبر مانع للحرب ، فى قرننا هذا كانت ويلات الحروب العالمية أكبر مانع لحرب عالمية جديدة ، لكن ويلات هذه الحرب التى ظلت فى وجدان من شهدوها بدأت فى التلاشى مع تولى زعماء صغار ، المعضلة المنطقية هنا أن العالم قد يحتاج لخوض حرب عالمية جديدة لمنع حرب عالمية جديدة.

obeikan.com

العجوز

انتفضت العجوز واقفة وهى تضرب بطنها بيديها فى ما يشبه قرع الطبول .. لفت بسرعة حول الأطفال جميعا ..

حاولوا أن يلحقوا بها برؤوسهم إلا أنها تحركت أسرع مما أدى لانقلاب أحدهم على ظهره أما الآخرون فاستندوا بأيديهم على الرمال ..

أخذت تلف حولهم وهى تدور حول نفسها وتقترب ثم تبتعد ، وتقترب ثم تبتعد وهى تدق على بطنها ..

قالت بلهجة مخيفه :

- هذا كان الصوت الذى سمعناه أولا ... هذا كان الصوت الذى أطلقه الذين قدموا من البحر ... الذين قدموا بسرعة ومن كل اتجاه ... كنا نديرر رؤوسنا حولنا فنجدهم في كل مكان..

أتوا من فوق الجبل ومن الغابة ..

أتوا بجزيرتهم المتحركة من البحر ..

حاصرونا بحرابهم وكانوا يحملون حرابا جديدة صغيره ، كانوا يطلقونها من شيئ يشبه هلال القمر ..

يشبه خليجنا الصغير كما ستروه من فوق الجبل ..

openkan.com

كانـوا يجذبـون الحـراب الصغـيرة إليهـم ثـم يتركونهـا دون أن يرفعـوا يدهـم عاليـا أو يقذفوهـا فتتحـرك الحـراب الصغـيرة الى أبعـد مـما يمكـن أن تصـل اليـه الرمـاح بكثـير ..

كانوا فى نفس حجمنا ولكن لونهم مختلف ..

دقت على الأرض بقدمها وقالت :

- إن لونهـم كان مثـل هـذا اللـون ، لـون الرمـال ، وكانـوا يركبـون جزيرتهـم ، فجزيرتهـم التـى يعيشـون عليهـا تتحـرك وبهـا شـجر طويـل لـه أفـرع تتأرجـح مـع الريـاح ..

كانـت تتحـرك و تتكلـم بنشـاط شـديد لا يناسـب حالتهـا الصحيـة والعمريـة وكأنهـا كانـت تعبـيرا مجسـدا لأنـه سـتبقى دائمـا بداخلنـا قـوة مختزنـة لمـرح أخـير ..

أصاب الغزاة اثنين من رجالنا حاولوا رميهم بالرمح ..

هرولنا لنمنع الدم من الخروج من المصابين ..

فالـدم ، ذلـك السـائل الـذى يشـبه لـون الفاكهـة الحمـراء هـو الـروح التـى نحيـا بهـا ..

إذا خرج منه الكثير يمكن أن تموت ..

لكن إذا خرج منه القليل يمكن أن تتعافى ..

لذلك نبقى كثيرا من هذه الفاكهة هناك فى بيتى ..

فإذا ما أصيب أحد استطعنا أن نعوض الدم بالفاكهة الحمراء ..

خفضت العجوز صوتها قليلا و هى تقول :

obeikan.com

- لم يمكث هؤلاء القآدمون كثيرا .. صعدوا الجبل ثم عادوا وأقاموا فى الجزيرة يومين ثم رحلوا ..

أكملت العجوز حديثها بعد أن عادت الى النبرة السريعة المخيفة :

- لم يقتلوا سوى واحد منا لأنه رمى عليهم حربته .. لم ينتظر ذلك المجنون أمر الزعيم

عندما أرادوا الرحيل طلب بعض رجالنا أن يرحلوا معهم ، و أخذوا بعض الأطفال أيضا ..

لابد أنهم يعيشون حياة أفضل هناك معهم .. فهم يحافظون علينا جدا.. فنحن مميزون بالنسبة لهم و أشارت على بشرتها السمراء كدليل على ذلك التميز ..

فقد رأينا على جزيرتهم التى تركوها بعيدا قليلا فى المياه ونزلوا لنا على جذوع أشجار أكبر كثيرا مما نستخدمها بعض الرجال بنفس لون بشرتنا وكانوا يخافون عليهم من النزول الى هنا ..

فهم يعاملونهم كزعماء ، بل إننا رأيناهم من بعيد يرتدون سلاسل لامعة حول رقبتهم ، إنهم زعماء مرفهون بلا شك ..

لقد خدعت الحقيقة عين هذه العجوز المسكينة تماما هذه المرة، فلم يخطر ببالها وبال قبيلتها أنهم يستعبدونهم ، و هذا لم يكن خطأهم وحدهم فكثير منا نحن أيضا ينظر الى المظاهر البراقة للآخرين دون أن يتفهم أنها قد تكون قيودا تكبلهم ..

أما قائد الغزاة الذكى فلم يجد داعيا للعنف ..

obeikan.com

فـما تسـتطيع أن تكسـبه بالمكـر والدهـاء أفضـل كثـيرا وأكـثر إمتاعـا مـما تجلبـه لـك الحـرب ..

ولم يكـن صعبـا أن يقنـع البدائيـين بمصاحبتـه بعـد أن رأى اندهاشـهم مـن كل شـيئ يحملـوه ..

لذلـك فإنـه عنـد الرحيـل كان البدائيـين يتهافتـون عـلى الرحيـل معـه ، حتـى أنـه كان عليـه أن يختبرهـم لـيرى مـن سـيأخذه ليسـتعبده ..

عـلى كل حـال لم يكـن هـذا ذنـب البدائيـين فليـس هنـاك شـخص سـوى عـلى فطرتـه يمكـن أن يتصـور أن إنسـانا قـد يفعـل ذلـك بإنسـان آخـر كان الجانـب المـشرق الوحيـد لهـذا الغـزو أن الغـزاة علموهـم بعـض الأشـياء النافعـة كطهـى الطعـام و مـداواة الجرحـى ، فقـد كانـوا يأكلـون كل شـيئ كـما هـو أو مشـويا فقـط ..

كـما تـرك الغـزاة شـبكة صيـد صغـيرة لم تلبـث أن اهـترأت ولم يسـتطع أحـد ترميمهـا .. وقـد كانـت هـذه دائمـا عـادة البشريـة .. فالتطـور كان دائمـا يسـتلزم حـدوث خطايـا ..

فلـولا العبوديـة فى رومـا القديمـة مـا تفـرغ السـادة للفلسـفة والعلـوم والفنـون ..وأعطتنـا الحـروب خصوصـا العالميتـين قفـزات كبـيره فى العلـوم كلهـا ، ولم يعلمهـم الغـزاة أو يعطوهـم قوسـا للسـهام طبعـا ، بـل احتفـظ بهـم بسريـة بعـد المواجهـة الأولى ..

فليس من المنطق أن تتخلى عن سر تميزك ..

أخـذت العجـوز تصـف المراكـب التـى أتى بهـا الغـزاة بأنهـا جُـزر كبـيرة

تتحرك فى الماء .. بها نوعان من الأشجار ، أشجار على قمتها وكانت تقصد به الصوارى وله أفرع بيضاء كلون داخل ثمرة الجوز هند أو ثمرة الحياة كما يطلقون عليها هنا ، و أشجار صغيره على الجانبين يحركها كذراعين فى الماء ..

أما شكل الجزيرة نفسها فإنها شبهته لهم كصدفة مقلوبة لسلحفاة كبيرة جدا ..

كان كلام العجوز مصدقا لأن العجوز كانت هى الوحيدة ممن يعيشون الآن على الجزيرة التى رأت الغزاة بنفسها ، كانت صغيرة جدا وقتها لكن هذا لم يغير حقيقة كونها شاهد العيان الوحيد الحى على الغزو ..

لم يترك الغزاة أثرا حيويا فلم يعبثوا بنسل القبيلة ..

فمن أعجبهم من النساء أو الفتيات بمعنى أدق وكانوا اثنتين فقط أخذوهما معهم ، و هكذا بقى نسل القبيلة صافيا ..

إلا شعر زعيم القبيلة فقط ..

حيث تقول الأسطورة أن زعيم الغزاة أهدى زعيم القبيلة خصلة من شعره ليهديها لأبناءه ..

وحدث ذلك عندما أقام فى بيته الليلة التى قضوها على الجزيرة ..

أخبرتهم أيضا أن الغزاة أعطوهم شرابا غريبا جعلهم ينتقلون الى عالم آخر ، ويروا العالم بشكل آخر مختلف تماما ..

أكملت العجوز حكاياتها ، وقد كانت حكاية الغزاة هذه أول حلم

يحلمـه كل أفـراد قبيلـة دارو ، بـل اعتقـد أنـه كان الحلـم الوحيـد أيضـا

obeikan.com

الصيد أولا

وقف فو مباعد بين ساقيه ، مقدما قدمه اليسرى ، شاهرا رمحه والرمح هذا كان أول اثبات لقدرة الإنسان المذهلة على صنع أدوات لتتيح له قدرات جديدة ..

صناعة الأدوات هى التى جعلت الإنسان يطير ويسبح على قطعه من حديد .. هى ما جعلته يتفرد بالخروج من حيز امكاناته الطبيعيه ..

أخذ فو حاملا أداته يراقب الأسماك التى تقترب منه ..

ارتكز فى مكان يسمح للماء ان يغمر أقل من منتصف ساقه ..

فلقد تعلم أن هذا افضل وضع للصيد ..

حتى يستطيع أن يحرك جسده بدون أن تهتز قدماه فأي حركة مفاجئة يقوم بها أثناء تصويب الرمح كفيلة بأن تفزع الأسماك و إذا فزعت الأسماك فإنه حين يطلق رمحه الى حيث السمكة فلن يجد الرمح السمكة فى مكانها ..

عُرف فو بين القبيلة بأنه صياد ماهر يعلم كيف يصوب رمحه جيدا .. لكن سر تميزه أنه أيقن أن المهارة لا تكفى بدون خداع ووفرت له هذه الوضعيه الخداع الكافى فهو بهذه الطريقه يستند

عـلى قدمـه لكـن كل حركتـه تتـم فـوق المـاء ..
كان جسده أثناء الصيد ينقسم لقسمين ساكن تحت الماء و متحرك فوقه صـوب رمحـه الى سـمكة يعلـم شـكلها ويحـب طعمهـا .. فالأسـماك ليسـت كمثـل بنـى جنسـه .. فكلهـا متشـابهه الوجـه ويكمـن الاختـلاف فى تفاصيـل الجسـد التـى يمكـن تمييزهـا فقـط مـن الألـوان ..
الخيول أيضا كذلك والخنازير والقردة والأسود ..
إن بنى جنسه فقط هم من يتمايزون ..
يميزهـم ذلـك الوجـه الـذى يـراه معلقـا عـلى أجسـادهم التـى تتغـير هـى الأخـرى ..
إلا أنه لاحظ أن الحيوانات يميزون بعضهم البعض و يتزاوجون أيضا هـذا يعنـى أن هنـاك فروقـا ، حـاول كثـيرا أن يتقصاهـا لكـن لم يفلـح سـعيه ..
كان فـو يميـز بنـى جنسـه مـن شـكلهم الخارجـى فقـط وبالأخـص مـن وجوههـم .. ومـا زلنـا نحـن نفعـل ذلـك ، فلـم نسـمع برجـل وسـيم لأن بنكرياسـه جميـل كـما لم نـرى أحـدا يفتخـر بصـورة سـونار لكبـده ذو الشـكل المميـز ..
مـرت سـمكة بجانـب فـو .. رمـى رمحـه و صادهـا ، ثـم نقلهـا الى الشـاطئ ، بعيـدا عـن المـاء .. وتركهـا تتلـوى فى كل اتجـاه ..
كان قـد تعلـم أن يتركهـا بعيـدا لأن إحداهـا يومـا تلـوت حتـى وصلـت الى المـاء وهربـت مـرة أخـرى ..

obeikan.com

هـذه الحادثـة جعلـت فـو يلاحـظ أن الأسـماك تتلـوى فى كل اتجـاه وليـس فى اتجـاه المـاء فقـط ..

ربما لا تعرف أن هذا بيتها لأنها لم تره من على الشاطئ قبل ذلك..

كانـت هـذه الملاحظـة كفيلـة بـأن تجعلـه يفكـر كثـيرا فى بيتـه هـو أيضـا .. عندمـا ينظـر اليـه مـن ناحيـة الشـاطئ يعرفـه ..

لكن عندما نظر إليه من ناحية الخلف ، ناحية الغابة لم يعرفه ..

فكل بيوت القبيلة متشابهة عدا بيت الزعيم وبيت العجوز ..

فوضع فرعا بالعرض على منزله ليميزه ..

عندما ذهب الى أعلى الجبل ذات مرة ..

وهـو يذهـب هنـاك كثـيرا للصيـد و التأمـل ونظـر الى البيـوت لم يسـتطيع أن يميـز بيتـه .. ولذلـك عندمـا عـاد الى القبيلـة وقـف عنـد أول بيـت فى الناحيـة اليمنـى ومـشى مـن هنـاك الى بيتـه .. إلا أنـه لم يعلـم مـاذا يفعـل

كل مـا اهتـدى إليـه أنـه يجـب أن يبـدأ مـن هنـا .. هـذه هـى البدايـة..

وكانـت هـذه أسـهل خطـوات البشريـة .. عندمـا اكتشـف البـشر الوحدة الكاملـة من الـشيء ..

الواحد الصحيح الذى ستبدأ معه رحله البشرية الى الأرقام ..

ثـم بـدأت الأرقـام بعـدد مـن خانـة واحـدة ثـم بدأنـا فى ادخـال خانـات أخـرى ثـم خانـات أخـرى ..

ثـم توقفنـا عنـد رقـم وقلنـا أنـه نهايـة الأرقـام ثـم أضفنـا خانـة أخـرى

أنتجت بدورها تسلسل آخر ثم فى النهاية رقم آخر وقلنا أنه آخر الأرقام ..

حتى سلمنا أخيرا بان الأعداد لا نهائية .. وكان هذا تعبيرا عن قصور علمنا بصورة أقل إحراجا ..كما سلمنا بأن العلم أيضا لا نهائى.. فكلما زاد علم البشر زاد إدراكهم للكثير من العلم الذى لم يكتشفوه بعد ..

وللسخرية وضعت كلمة لا نهائى لتعبر عن نهاية غير محسوسة ..

ثم ارتدت البشرية للبداية لتدرك أن الوجود يقابله عدم .. وأن الموجب يقابله سالب .. فأتى اختراع الصفر كنقطة وهميه يجتازها العقل بين عالمين ..

فكان العام الأول قبل الميلاد يتبعه العام الأول بعد الميلاد .. لم يكن هناك العام صفر .. فالصفر كان فى لحظه إقرار التوقيت واحسبه ما زال حتى الآن مجرد حاجز عقلى وهمى .. أما المفارقه فى الأرقام والعلم فهى أن اكتشاف مدى جهل البشرية كان يستلزم دائما مزيدا من العلم.. و اكتشفنا أيضا أن البحث عن المجهول ليس دائما الغاية ..

فبعد أن توقف بحثنا عن الزمن القآدم .. اكتشفنا أن اللحظة الحالية تحمل الكثير مما لم يكتشف بعد ..

لذلك جاءت الفمتو ثانية لترينا كيف أن اللحظات التى تمر علينا مهمة وأن التفاعلات التى تجرى فى أجزاء متناهية الصغر من

الثانيـة يمكـن ان تعلمنـا الكثـير ..

لكـن معضلـة فـو كانـت أكـبر .. كشـخص لم يعـرف العـدد .. كان التمييـز مسـتحيلا .. إلى أن اهتـدى الى طريقـه أخـرى مسـتخدما أدواته ..

وهى فى هذه الحالة لا تتعدى جسده ورمحه ..

فقرر أن يناسب بين وحدتين من أنواع مختلفة ..

كل اصبع من أصابع قدمه يماثل بيتا من بيوت القبيلة ..

فوقف عند أول بيت واستمر فى المشى تجاه بيته ..

ومع كل بيت يمر كان يعقف اصبعا من أصابع قدميه للداخل

نظر الى زوجته التى كانت تراقبه وهو يمشى مشيه معوجة غريبة..

فقـد كانـت الوحيـدة التـى لاحظـت مـا يفعلـه هـى زوجتـه ولم تبـد أى رد فعـل لأنهـا اعتـادت عـلى غرابتـه ..

ففـى مثـل هـذا العـالم البـدائى لم تكـن الغرابـة مسـتهجنة ، بـل أمـرا محببـا ..

فلـم تكـن البشريـة قـد وصلـت بعـد الى مرحلـه التشـبع بالعلـم حتـى ظـن بعـض البـشر أن التجديـد و التفكـير خطيئـة ، قانعـين بمـا يعلمـوه فقـط.. والحقيقـة أن هـذا مجـرد انعـكاس لأنانيـة البـشر عـلى المعرفـة فـكل شـخص أو أحيانـا كل جيـل كامـل يعتقـد أن مبلـغ علمـه يجـب أن يكـون نهايـة علـم البشريـة ..

وأن البشريـة يجـب أن تنحنـى لاكتشـافات عـصره وتظـل منحنيـة هنـا لا تمـضى الى أبعـد مـن ذلـك ..

لكن التاريخ علمنا أن البشرية تمضى وقليلا ما تنحنى ..

نعـود الآن الى صديقنـا البـدائى الـذى يمـشى عاقفـا أصابـع رجليـه بطريقـة مضحكـة ..

انتهـى مـن عقـف أصابـع قدمـه اليمنـى أولا ثـم عقـف اصبعـين مـن اليـسرى التـى تحمـل أربعـه أصابـع فقـط لأن سـمكة أكلـت اصبعـه الصغـير قبـل ذلـك فى حادثـة صيـد وهـو صغـير ..

كان سبعه بيوت و هو البيت الثامن

عندما ذهب الى أعلى الجبل بعد ذلك ..

جلس على صخرة و مد قدميه فى اتجاه القبيلة ..

وأخـذ يعقـف الأصابـع حتـى وصـل للسـابع فلـم يـرى بيتـه .. لأنـه لم يعقـف الاصبـع الثامـن .. أخـذ يجـرب حتـى وصـل أخـيرا الى أنـه لا داعـى لعقـف الأصابـع ..انـزل قدميـه قليـلا لـيرى البيـوت مـن فوقهـا نظـر الى البيـوت ووجـد أن بيتـه فـوق الاصبـع الثالـث مـن قدمـه اليـسرى ..

فكـر أن يبـدل بيتـه ليصبـح العـاشر فبهـذه الطريقـة سـيمد أصابعـه لتغطـى البيـوت ثـم يكـون بيتـه مـكان الاصبـع المقطـوع

فكـر ان بيتـه سـيبدو جميـلا وسـط اصابعـه و ربمـا عوضـه ذلـك المنظـر عـن اصبعـه الـذى فقـده فى صغـره

فأخـذ يحـرك فى أصابعـه حتـى أصبـح البيـت يحتـل مـكان اصبعـه المقطـوع ..

مـضى عليـه وقـت طويـل عـلى حالـه هـذا فرحـا بـأن يكـون بيتـه مـكان الإصبـع الـذى فقـده ..

لسـبب لا نسـتطيع أن نفـسره كان لـدى هـذا البـدائى مشـاعر تتأجـج فى هـذا الموقـف ..

أفاق من مشاعره ليبدأ التفكير مرة أخرى فى استغلال اكتشافه ..

فكـر فى الكيفيـة التـى سـتفيده بهـا هـذه الطريقـة اذا كان يهـرب مـن شيء فى اتجـاه بيتـه ..

هل سيوقف الهرب ليتمدد و يرى بيته ..

لم يشغل باله ، المهم انه الان يعرف بيته من فوق الجبل ..

لـن يكـون مثـل السـمكة التـى لم تعـرف ايـن بيتهـا عندمـا رأتـه مـن الشـاطئ ..

على الأقل سيعرف الى اين يهرب ..

و أحيانـا يكـون الأفضـل لنـا ان نعـرف أى اتجـاه نسـلك ثـم تتضـح الحقيقـة تدريجيـا أمامنـا كلـما اقتربنـا مـن هدفنـا

عموما هو لم يكن مهتما بالحصول على اجابه لكل أسئلته ..

كان يكتفى بأن يطرح الأسئلة على نفسه ثم ينتظر الإجابة ..

و لم يكن هذا سلوكه وحده بل سلوك القبيلة كلها ..

إمـا أن تأتيهـم الإجابـة التـى تفـسر أسـئلتهم أو إذا كان الموضـوع مهـما بحيـث يجـب أن يكـون لـه إجابـة فإنهـم يؤلفـون حكايـة خرافيـة لتفسـير مـا عجـزت عنـه عقولهـم..

كان تبرير الجهل بخرافة شائعا فى مجتمع بدائى كهذا واحسبه كذلك أيضا فى مجتمعنا المتطور..

الفكرة الأخرى التى سيطرت على رأسه كثيرا لماذا كان بيته من أعلى صغيرا ، أصغر من اصبع من أصابعه ..

لم يفهم أبدا كيف استطاع أن يحتوى بيته بين أصابعه ..

واصل الوقوف لاصطياد اسماك أخرى..

كان يقف على أهبه الصيد والهرب معا فى وقت واحد

فكما يصيد يمكن أيضا اصطياده ..

و هذا أول دروس الحياة البدائية ..

لقد التهمت الأسماك اصبعه فقط لكنها التهمت أرجلا كامله لبعض ابناء قبيلته منذ زمن قديم ..

ومع تكرار هذه الحوادث منع زعيم القبيلة أى فرد من الدخول الى المياه كثيرا ..

وأعطاهم زعيم القبيلة الحكيم تعليمات أخرى بأن لا يصوبوا رماحهم الى سمكة لا يكون صيدها مؤكدا ..

مبينا لهم أن خطر فرار سمكة حاولوا اصابتها هو خطر كبير ..

لأنها قد تخبر بنى جنسها بما تعرضت له فلا يأتون الى الخليج مرة أخرى..

ضاربا لهم مثل بما يحدث مع الحيوانات..

واستثنى زعيم بعده بعض المواسم حين تندر الأسماك فى الخليج

مـن حظـر الدخـول فى الميـاه ..

فكان الزعيم يعطى بعضهم الحق فى ركوب الأشجار للصيد..

و كعـادة البشريـة مـن مصاحبـة المنافـع للكـوارث كانـوا قـد عرفـوا هـذه الحيلـة حينـما اتى اعصـار دمـر بيوتهـم واقتلـع بعـض الأشـجار ورمـى بهـا فى الميـاه .. لم تغـرق الأشـجار

فاقـترب منهـا صبـى جامـح و ركـب فـوق احداهـا مسـتلقيا بجسـده كلـه عـلى الشـجرة فلـم تغـرق ..

فأخذ يجدف بيديه فأخذت الشجرة فى التحرك حسبما يريد ..

رأى اخـر مـا حـدث فركـب شـجره أخـرى إلا انـه كان جالسـا محتضنـا الشـجرة برجليـه تـاركا اياهـا تتهـادى فى المـاء..

ثـم أتى آخـر وجلـس أيضـا ثـم بـدا فى توجيـه الشـجرة برمحـه فالميـاه ضحلـة ويسـتطيع أن يـدب رمحـه فى الأرض ويدفعهـا حيثـما شـاء..

إلا ان زعيـم القبيلـة وقتهـا نهـاه عـن ذلـك حتـى لا تـرى الأسـماك الرمـح فتهـرب فاسـتعاض عـن الرمـح بفـرع شـجرة..

ثـم أتى آخـر فاسـتخدم الفـرع فى التوجيـه ثـم قلبـه فوجـد أن الأوراق التـى فى الفـرع تشـبه يـده فاسـتخدمه فى التجديـف ..

واسـتطاع بهـذا أن يدخـل الى عمـق أكـبر مـما اتاحـه غـرز الفـروع فى الأرض..

هنـا توقفـت الاكتشـافات فلـم يظـن احـد ان هناك شـيئا اخر ليكتشـف ، خصوصـا ان مـن اكتشـف ذلـك كان الابـن الأكـبر لزعيـم القبيلـة وقتهـا

والمرشح لخلافته..

فلم يجد أحدهم داع لمنافسته التى يمكن أن تجر عليه عواقب وخيمة..

انتهى فو من الصيد و عاد الى بيته ..

اوقدت زوجته النار مسبقا ففى مجتمع كهذا كانت المرأة ترى زوجها وهو يصطاد على مرمى بصرها وتعلم كم سمكة بقت له حتى يرجع ..

اخبرها بعد ذلك انه يريد ان يذهب ليرى جزء من العالم المختبئ فوافقته ..

كان هذا يعنى انه ذاهب للجبل ، ليرى بعيدا داخل الجزيرة او بعيدا داخل البحر..

فقد تعود فو على تقسيم العالم الى عالم يراه وعالم مختبئ..

كلما تغول فى البحر او ارتقى الجبل رأى أكثر من هذا العالم المختبئ.. انه عالم يظهر لمن يذهب اليه فقط .. وقد ذهب فعلا الى كل انحاء الجزيرة فى فتره المراهقة..

تعرف على كل أشجار الغابة وكل الرمال التى تحصره فى هذا العالم..

أصبحت الجزيرة عالم مختبئ مكتشف بالنسبة له..

صحبته زوجته فى هذه الرحلة الأولى لكنها لم تهتم بالاستمرار فيها بعد ذلك ، و لم تشأ زوجته الذهاب معه هذه المرة أيضا فقد ملت من ان تذهب لترى عالما يشبه عالمها فمن ناحية الغابه

هنـاك غابـات أكـثر و مـن ناحيـة البحـر هنـاك بحـر اوسـع لكنـه كان كل مـرة يعـود بملاحظـه أو فكـره جديـدة ..وأحيانـا وهـو الأهـم بصيـد جديـد ، اذن فليذهـب ..

obeikan.com

obeikan.com

شعور بالحنين

كانت آخر مرة ذهب فيها الى الجبل مختلفة..

فقد أصيب و هو يحاول أن يعتلى شجرة واضطر الى المكوث هناك اسبوعين كاملين يأكل من اوراق الشجر ومن الأسماك التى كانت زوجته تملحها بمياه البحر ..

عندما عاد المرة السابقه مارس هذا البدائى أول شعور له بالحنين ..

ابتسم دون ان يعى انه ابتسم و أحس بانتشاء غريب لم يفلح فى تشبيهه لنفسه عندما تذكره بعد ذلك إلا انه كان كفرحة صيد أسماك كثيرة بضربه رمح واحدة..

كما فرحت زوجته والقبيلة كلها بعودته .. لم يكن أول من يختبر هذا الشعور بل القبيلة كلها..

فلم يسبق أن غاب أحد من أبناء القبيلة منذ وقت الغزاة..

حتى أولئك الذين عاصروا الغزاة لم يحسوا بالحنين لمن ذهبوا..

فالشوق لا يأتي الا مصاحبا للانتظار..

ولم يكن فى وسع البشر أبدا أن يختبروا شعورا إلا إذا اختبروا عكسه أولا..

فكر ان يغيب هذه المرة أيضا..

obeikan.com

لكن المسكين لم يكن يعرف كم غاب قبل ذلك حتى يغيب مثله او أكثر منه..

فكما عرفنا من أسلوب تمييز بيته انه لم يكن يعلم العد بعد .. وهو فى طريقه للجبل هذه المرة لم يكن هناك تغيرا ملحوظا فى مشيته سوى ان وتيرته كانت ابطئ..

إلا أن ملاحظتى الدقيقة جعلتنى أرى أن أصابع قدمى فو كانت تتصرف بطريقه غريبة..

فقد كانت تنغرس فى الرمال أكثر ثم تنثنى لتحمل معها قليلا من الرمل الذى يتساقط كله قبل ان تلمس قدمه الرمل مرة أخرى

حاولت أصابع قدميه ان تتمسك برمال موطنه كطفل صغير يمسك بإصبع من يد ابويه و لا يريد ان يتخلى عنهم

الشيء المشترك هنا أن هذا الطفل الصغير وصديقنا فو اختبرا شعورا لا يعلموه فلم يعرفوا كيف يعبروا عنه و إن كان يملأ وجدانهم كله و لا أعتقد ان اسقاطات مشهد الرحيل هذا تنعكس على فو فقط

فكلنا عرفنا هذا الشعور

شعور ان جزءا منا لا يريد الرحيل معنا

سواء كان قلب يعتصر الما ، او عين لا تقدر على كتم دموعها او لا تستطيع ان تشيح بنظرها بعيدا بينما جسد الاخر يرحل

انتهت الرمال و اصبح تعلق القدمين مؤلما حين احتكت اصابع فو بالصخور

كما ان التعلق اصبح غير ذى معنى

و عاد فو الى وتيرة مشيه الاصلية

اخذت عيناه تتجول حوله كعادته ليلاحظ كل جديد و كل خطير

فكل خطوه وسط اشجار الغابه تمثل الاحتمالين بنسب متساوية

احتمال ان يجد فريسة او ان يكون هو نفسه الفريسة

فى البداية شق فو طريقه الى اعلى الجبل ببطئ ..

***

obeikan.com

لكنـه لم يجـد شـيئا جديـدا فى تجـوال عينيـه هـذه المـرة فقطـع الثلـث الاخـير مـن الرحلـه بـدون تأمـل

ارتقى اعلى قمة و جلس بمواجهه الجزيرة كما يفعل كل مرة

اطمأن على وجود بيته

و مـع غـروب الشـمس اكل شـيئا يسـيرا و جلـس يشـاهد الحيـاة تذبـل فى قريتـه .. ثـم نـام..

obeikan.com

الاكتشاف الخطير

تاركا خلفه شعورا مجهولا..

لم يكن فو يدرى أنه ذاهب الى اكتشاف قد يغير مجرى حياته

عندما صعد الى الجبل امضى يومه مثل باقى ايامه السابقه فى التأمل

ركض بعد ذلك وراء حيوان غريب فى اتجاه النزول من الجبل

وعاد وراءه فى اتجاه الكهف الصغير الذى ينام فيه فوق الجبل ..

اختفى الحيوان قرب الكهف وكان فو متعبا لدرجة أنه لم يرد الانتظار للبحث عن الحيوان ..

دخل الى الكهف واستلقى على الأرض ..

كان معتادا على النوم على ظهره كما تقتضى معتقدات القبيلة ..

لأن روحه لن تخرج كاملة إذا مات إلا بهذا الوضع ..

وإذا خرجت روحه ناقصة فلن يعود مرة أخرى ..

لكن اليوم وجد نفسه ينقلب على جنبه و يتكور قليلا ..كأن شيئا ما يزعجه ..إحساس التعب الشديد فى حالته هذه كان كافيا ليزعجه بعفويه وضع ذراعه على أذنه ..

سمع صوتا غريبا ..

obeikan.com

صوت دق مستمر..

فى البداية توقع انه صوت اقدام الحيوان الذى كان يطارده وبما أن الصوت قريب إذن فالحيوان قريب أيضا..

اذن هناك احتمال لأن يتحول هو الى فريسة لهذا الحيوان الغريب..

هب من نومه و أخذ يفتش حول الكهف بحثا عن ذلك الحيوان فلم يجده..

لم يزده ذلك المجهود إلا تعبا..

فعاد الى الكهف واستلقى على ظهره..

ثم بسرعة على جنبه ووضع ذراعه على أذنه مرة أخرى..

إن نفس الصوت ما زال موجودا بل ازداد قوة..

تسائل هل عاد الحيوان مرة أخرى..

فخرج مرة أخرى وفتش أكثر هذه المرة فلم يجد أى أثر لأى حيوان قريب ..

عاد ليتموضع بنفس الطريقة ليجد نفسه مرة أخرى يسمع نفس الصوت بعلو أكبر ..

نصب نظره صوب فتحه الكهف ولمس رمحه ليتأكد من وجوده بجواره ..

وأخذ لدقائق يرهف السمع عله يتبين حقيقة الصوت..

لكن لم يكن هذا صوت شبيه لشيء سمعه من قبل..

لمعت عيناه كالبرق فجأة..

opeikan.com

ربما لم يعرف الصوت لأنه فعلا لم يسمعه من قبل بل سمع حكايات عنه..

قفزت الى ذهنه عجوز القبيلة وهى تحكى عن الزائرين الذين أتوا الى الجزيرة من قبل..

نسى التعب فجأة..

و قفز بكل ما أوتى من قوة..

قوة منحتها إياه أحلامه التى طالما حلم بها بأن يختاره الزائرون ليرحل معهم عن الجزيرة..

ليرى العالم المختبئ خلف العالم المختبئ..

ارتقى لأعلى قمة فى الجبل..

أخذ يدقق النظر فى البحر الواسع عله يرى شيئا..

امضى تلك الليلة متحفزا لشيء لا يعلمه ..

لرؤية شيء لطالما حلم به ..

و هذا مشهد مؤثر بحق ..

فها هو ذا صديقنا البدائى يجلس وحيدا على أعلى قمة فى جزيرته..

وعلى وجهه رسمت تعابير كتلك التى ترتسم على وجوهنا الآن ..

تعابير فرحة وتحفز يلوح من خلفها استعداد للمغامرة يشوبه خوف غير ملحوظ ..

لم يخطر ببال فو أن الغزاة الآتين قد يكونوا مختلفين هذه المرة عن الغزاة السابقين ..

obeikan.com

ففى تصنيفه البسيط كان عالمه يتكون من قبيلته التى تسكن عالمه والغزاة الذين يأتون من العالم المختبئ ..

ولا أخفى عليكم كم كانت جلسته وتعابير وجهه مؤثرة لدرجة أنى شعرت بالأسى لأنه لم يكن يعرف ماهية الشعور الذى يحس به كم هو مؤلم أن ترى من يملك الفرحة ولا يحسها ..

وأن ترى لحظة من الفرح تضيع سدى ..

غلب النوم فو ..

أيقظه نور الشمس أولا ، ثم لسعتها ثانيا ..

لأول مرة لم يبالى ..

كأنه ترك عالمه القديم خلفه بكل قوانينه ولم يعد يهتم به بل يتطلع لعالم جديد، قام بسرعة لينظر حوله فلم يجد شيئا بعد جلس مرة أخرى وأخذ يراقب البحر من كل الجهات ..

لم يجد ما يسليه سوى أنه أخذ يقلد حركة الموج برأسه ..

وهذا شيء لا أرادى على ما أعتقد ..

مجرد استجابة عفوية يتحرك فيها الإنسان ليواكب حركة الظروف..

فنحن حينما نجلس فى ملعب لكرة التنس نجد رأسنا يتحرك لا اراديا مع الكره حتى لو كان طرفى اللعب فى مرمى بصرنا ..

أعتقد أن رابطا ما يتولد بين الإنسان وظروفه فيجبره بغير وعى على التحرك فى الاتجاه الذى تقوده اليه الظروف المحيطه به أوى فو الى ظل شجرة يستطيع منه أن يراقب البحر ..

obeikan.com

أخذ يتخيل شكل الجزر المتحركة التى سيأتي الزوار عليها .. .
ويتخيل حياته لو اختاروه ليكون من السادة المرفهين الذين يختاروهم ليسافروا معهم ..
و تخيل شكله وهو يرتدى السلاسل اللامعة ..
و هذا مشهد يبعث على الأسى أيضا ..
فلك أن تتخيل حال رجل لم يرى وجهه من قبل يتخيل شكله الذى لا يعلمه وهو يرتدى شيئا لا يعلم شكله والأهم أنه لا يعلم حقيقة هذا الشيء..

مرت الساعات وفو يراقب كل جوانب البحر ولا يجد شيئا..
عاد الى الكهف سريعا..
ركض الى الكهف حتى لا يفوته شيء و اتخذ نفس الوضعيه وسمع نفس الصوت ..
ركض مرة أخرى الى القمة بسرعة وخاب ظنه لأنه لم يجد شيئا ..
استغرق فى جلسته وقتا كثيرا قبل أن يلتفت الى أنه هذه المرة استعمل يده الأخرى وليست اليد التى سمع بها فى الأمس ، جرب أن يسمع الآن فسمع الصوت خفيفا ، أغلق أذنه بيده فسمعه أعلى ، جرب اليد الأخرى فسمعه أيضا ، جرب باطن فخذه فلم يسمع شيئا ، أغلق أذنه فلم يسمع شيئا أيضا ، إذن هذا الصوت يأتي من اليدين فقط ..

obeikan.com

قضى فو النهار كله يراقب حتى رأى القمر يبزغ من تحت الماء فى آخر المحيط..

ربما كان هذا الصوت الذى سمعه إعلانا لمجيء القمر ..

تلك الروح التى تحلق فى السماء كل يوم ..

رأى القمر يولد من رحم البحر جزءا جزءا ثم ينفصل صغيرا..

ويكبر خلال الليل وهو يعبر من فوقه قبل أن يموت فى البحر مرة أخرى فى الجهة المقابلة ..

فكر أن هذا الموج الذى يراه فى البحر هو نتاج خروج القمر منه..

مثلما يحدث موج عندما يدخل هو الآخر قدمه فى البحر أو يخرجها منه ..

تذكر فو ليلة سابقة راقب فيها القمر..

اعتبر فو يومها أن عالمه ينتهى هناك فى هذه النقطة التى خرج منها القمر..

فقد رأى القمر قبل ذلك وهو يخرج من البحر.. بل أنه رأى جزء من القمر داخل البحر.. ثم رأى القمر يمشى فى السماء وفى البحر معا.. وأخذ القمر يقترب منه.. فألقى فو يومها بنفسه فى المياه ، كان يريد أن يمسك القمر الذى فى الماء بيديه ..

أراد أن يضيف روح القمر الى روحه ..لكنه لم يجدها

فكلما اقترب فو ، ابتعد القمر ..

دقق فو كثيرا من قبل فى وجه القمر ، لكنه وجد أن كل الأقمار

متشابهه ، مثل الأسماك والحيوانات ، إلا أنه اليوم كان يرى القمر بصورة أخرى..

رآه كمبعث للحركة فى البحر..

غفى فو قليلا من كثره توتره..

عندما أفاق لم تكن الشمس قد لاحت بعد فى الأفق .. لكنه أجزم أنه لأول مرة استطاع أن يرى يد الشمس ..

تمسك بالبحر وتقترب مع الشمس ثم تختفى ..

بقى ساكنا يراقب البحر والشمس ..

والأهم أنه أخذ يراقب يد الشمس وهى تقترب من الجزيرة ..

لسعته يد الشمس وهو لم يكن نائما ..

حدث معه هذا مرات كثيرة قبل ذلك ، و كان هذا يعنى بالنسبة له أن الشمس تحذره مما يفعل وتطلب منه أن يكف عنه ..

أدرك أن الشمس تخبره أن يكف عن تتبع يدها ولا يخبر أحدا بأنه رأى يد الشمس ..

وأومئ فو برأسه مطيعا ..

قضى فو أياما لا يعلم عددها على قمة الجبل ..

أحيانا كان يحلم بما وراء حدود القمر ولكن ما أذهلنى أن فو كان يستطيع أن يقضى أوقاتا طويلة صامتا ساكنا لا يفكر فى شيء ..

فلم يكن الانشغال بشيء واجبا بالنسبة له ..

لم تكن فرضية الانشغال قد وجدت بعد ، تلك الفرضية التى تدفع

obeikan.com

بالإنسان الحديث الى استغلال وقته بأى وبكل طريقة ممكنة وطبعا لانعدام وجود الانشغال انعدم وجود المضاد له ، الملل ..

قضى لياليه يستمع الى الصوت القادم من ذراعه ، وعندما يأس من قدوم الغزاة أو بالأصح أيقن أن الصوت لا يرتبط بهم بل بشيء آخر قرر أن يعود الى القرية ليكمل حل اللغز ..

obeikan.com

ولادة جديدة

عاد فو فى أول الليل ..

علم من زوجته أن هناك طفلا ذكرا جديدا ولد للتو ، وسيقيمون مراسم الولادة فى الصباح ، استلقى فو أولا على ظهره كما تعود إلا أنه عاد وانقلب على جنبه ووضع ذراعه على أذنه ليجد الصوت ما زال موجودا ، اذن هو بالفعل ليس صوت الغزاة ، وليس صوت الجبل أيضا فقد لمعت فى ذهنه هذه الفكرة وهو فى طريقه الى القرية ، نام من التعب وقله النوم ، ورغم أن النوم على الحشائش التى يصنع منها سريرا هنا لم يكن يفرق كثيرا عن النوم على الحشائش فى الجبل ، إلا أن النوم فى البيت يعطينا دائما راحة أكثر، فى الصباح توجهوا جميعا الى جدول الماء الكبير لحضور مراسم مولد طفل جديد للقبيلة ..

منذ زمن طويل كانوا يقيمون هذه المراسم فى البحر..

حيث كانوا يقفون حتى تصل المياه الى أعلى وسطهم وتتقدم العجوز الى داخل البحر أكثر منهم وتغسل المولود فى الماء و تغسل الحبل السرى ثم تعطيه للأم التى تخيطه لاحقا على شكل عقد ترتديه حول رقبتها حتى يذبل فتقسمه نصفين وتثبتهم فى قطعة

خشب واحده ثم تضعه إذا بقيت الأم على قيد الحياة فى الكوخ المخصص للولادة بجانب كل الحبال السرية لأبناء القبيلة الأحياء فإذا مات فرد من القبيلة خيط أحد جزئ الحبل السرى فى سرته مرة أخرى لأنه الرباط الذى سيربطه بالأرض الأم مرة أخرى..

ووضع النصف الآخر من الحبل السرى فى حائط الأموات ..

كان هذا ليصبح أسهل تعداد سكانى لو كان أفراد القبيلة يعرفون العد ..كانوا بكل سهولة سيعدون الحبال السرية فيعرفوا تعداد قبيلتهم كله ..

ثم انتقلت المراسم الى الجدول بعد حادثة قديمة قامت فيها الأسماك الكبيرة بالتهام عجوز القبيلة ..

فقد كانت تعطى ظهرها للبحر وتنظر فى اتجاه الجزيرة والكل يقف أمامها ولكن على مسافة بعيدة نسبيا..

وقتها أتت سمكة وقبضت على العجوز من خصرها..

القت العجوز الطفل فى الماء وهرع الباقين الى الجزيرة إلا أبو الطفل الذى سبح أليه و أعاده ولم يعثروا بالطبع على حبله السرى فقرر زعيم القبيلة أن يدفن معه حبل العجوز السرى عندما يموت لأنهما كما قال زعيم القبيلة أمتداديين لروح واحدة..

يومها ولدت أسطورة تعاقب الأرواح.. فترسخ فى وجدان القبيلة أن كل روح تذهب تأتى مكانها روح وكل روح تأتى تذهب مكانها روح وتم اختيار أكبر نساء القبيلة لتحل محل العجوز..

obeikan.com

فلم يكن لهذه الوظيفة أى متطلبات سوى الجنون والخرف ..

وكـما تعلمـون أن الزعامـة شيء مميـز أمـا الجنـون ففطـرى فى كل البـشر..

لم يكـن ممكنـا إقنـاع أفـراد القبيلـة بأنهـم اسـتدعوا أسـماك القـرش بالـدم الـذى غسـلوه فى البحـر وأن مـا حـدث يمكـن تلافيـه..

كما لم يكن من الممكن اقناعهم أنها مصادفه أيضا..

فصعـب أن تعلـم معنـى كلمـة مصادفـة أو اسـتثناء لشـخص لا يعلـم معنـى كلمـة قاعـدة أو نظـام ..

لكـن بقيـت الخرافـة طبعـا .. فالحقيقـة أن الخرافـات هـى أسـهل الأشـياء تواجـدا ..

فهـى ولـدت فى المـاضى وهـى غـير قابلـة للدراسـة ويحيـط بهـا هالـة مهيبـة مـن الخـوف تجعلهـا غـير قابلـة للنقـاش ..

وعـلى مـدار تاريخنـا البـشرى لم تكـن الخرافـات دائمـا مبعثـا للخـوف بـل كانـت أحيانـا علاجـا لـه ..

جـرب أن تصـف فعـلا تافهـا سـخيفا لأحـد وتخـبره أنـه سـيمنع عنـه الأذى الـذى يخـاف منـه ، سـتجده يفعلـه

والأغرب أنه سيزيل عنه الخوف ..

لقـد كانـت الأفعـال السـخيفة للخرافـات ومـا زالـت حتـى الآن أقـدم بلاسـيبو نفـسى عرفتـه البشريـة ..

قامت العجوز بحركات غريبة غير مفهومه فى مراسم الولادة ..

ثم قدمت الطفل للنهر والأرض والسماء ويممته شطر البحر
كانت أمه جالسة على ركبتيها و تمد يدها للسماء وللشمس تحديدا لتشكرها على الطفلة الأنثى ..
لأن معتقدات القبيلة تقول أنهم يجب أن يمارسوا الحب فى العراء مرات عديدة إذا كانوا يريدون إنجاب طفل..
ويتخذون وضعيه يكون فيها الرجل والمرأة ينظرون الى السماء..
ويعلقون نظرهم بالشمس أو القمر ..
ففى عرفهم لم يكن هناك سوى روح واحدة لتمنح كل يوم ..
هذه الروح تهيم فى السماء حتى تختار زوجين ..
فإذا منحت الشمس روحها الى رحم المرأة فالمولود أنثى ..
والأنثى ترث من الشمس عينيها التى تراقب ويدها التى تلسع وتعاقب ..
أما القمر فى الليل فإذا أتى الى رحم المرأة كان المولود ذكر ..
فهذا القمر لم يكن بظنهم ثابت والشمس كذلك ..
بل أرواح تحلق فى السماء تنتظر أن تتحول الى صوره آدميه فى رحم امرأة ..
لكن وقت ظهور الهلال يسمح فقط لزعيم القبيلة بممارسه الحب فى العراء وذلك لأن من يأتي له ذكر فى الهلال يحكم الهلال الذى يسكنون فيه ..
لذلك كان ممنوعا عليهم أن يمارسوا الحب وقت ظهور الهلال ..

obeikan.com

وإلا..... لا شيء

أعلم انك توقعت عقابا من نوع ما لكن فى مجتمع بدائى كهذا لم يكونوا يحتاجون لذلك بعد..

وأعتقد أنه لم يذكر أحد أبدا بماذا عوقب قابيل على قتل أخيه..

بل إن معظم اللغات الآن تسمى أبنائها باسم قابيل ولم أسمع عن أحد يسمى هابيل..

حيث تنزع النفس البشرية دائما الى العدوانية بغير دراية ..

فنحن نفضل أن نطلق إسم القاتل على أبنائنا بدلا من إسم التقى الذى رفض الإساءة لأخيه رغم علمه بنواياه السيئة..

لم يرتبطوا طبعا بفكرة التسعة أشهر..

وكان غريبا أيضا اكتشافى أن أهل هذه الجزيرة لم يعرفوا التقبيل..

والحقيقة أنه اكتشاف صعب جدا لو أمعنا التفكير فيه..

فمن يقول أننا يمكن أن نستخدم أفواهنا لغير الكلام..

وأن اختلاط الأفواه يمكن أن يولد شعورا باللذة..

لا يسعنى فعلا أن أفكر فى ما دفع أول شخصين قبلا بعضهما فى تجربه شيء كهذا ..

بعد أن تنهى العجوز مراسمها الخزعبلية تنزع غمامة تكون قد وضعت على عين الطفل منذ لحظه ولادته

و تمرر الطفل ليراه كل أفراد القبيلة لا أدرى إن كان ذلك إثباتا لحضوره أم إثباتا لهويته ..

ويمارس بعدها أفراد القبيلة طقوسهم الخاصة فى الترحيب بالطفل الجديد فبعضهم يحمله وبعضهم يرفعه عاليا وبعضهم يكتفى بالنظر ..

ثم تطلق عليه أمه أو زعيم القبيلة إسما..

ويردده جميع أفراد القبيلة وهم يدبون على الأرض بأقدامهم ..

إثباتا لأنه ابن هذه الأرض التى لم يسموها ..

ثم تقترب العجوز من الأم وتعطيها ثمرة من جوز الهند لتشرب العصير بداخلها ثم تأكلها .. فهذه الثمرة ستتحول الى اللبن الذى سترضعه الأم لولدها ..

كانت ثمرة جوز الهند نادرة فى الجزيرة فهى تنبت من شجرتين فقط وتجمع الثمار و تودع عند عجوز القرية ..

وكانت العجوز تعطى ثمرة للأم عند الولادة حتى تدر اللبن..

وللشاب إذا بدت عليه ملامح الرجولة ليفرز السائل المنوى..

فكلا السائلين الذين يمنحان الحياة لونهم أبيض من وجهه نظرهم البسيطة..

تنتهى المراسم وترقد الأم أياما لتستعيد عافيتها وتتوزع واجباتها على باقى النساء.. وتعود القبيلة الى دأبها المعتاد..

لكن فو يعود الى تفكيره فى الاكتشاف مرة أخرى..

لقد فاجأته فكرة أن هذا الصوت قد يكون عند باقى بنى جنسه عندما رأى الطفل..

اختلى بزوجته فى الكهف ووضع يدها على أذنه فسمع الصوت خفيفا..

لما استغربت ما يفعله وضع يده على أذنها و جعلها تسمع الصوت..

نظرت اليه نظره من ينتظر تفسيرا وفى المقابل وجدته ينظر اليها هو أيضا كمن ينتظر تفسيرا هو الآخر وإن كانت نظرته لم تخفى فرحته باكتشافه الخطير..

خرجا الى أعمالهم ولكنه طلب منها أن تذهب معه الى الكهف مرة أخرى..

طلب منها أن ترفع هى يدها بدون أن يلمسها بيده خوفا من أن يكون ما يسمعه هو الصوت القادم من داخله هو..

لكنه سمع نفس الصوت لكن أعلى هذه المرة..

فى الليل انتظر فو أن ينام ابنه ثم كرر معه التجربة..

سمع صوتا خفيفا لكن كان هذا برهانا كافيا له أن هذا الصوت يأتي من داخل كل أبناء جنسه ..

بحث فو فى الأيام التالية عن الصوت فى الأسماك التى اصطادها وفى الحيوانات التى أمسكها... وسمعه فيها جميعا

ففى الأسماك اختلط عليه صوت الرعشة التى تنتاب السمك خارج الماء و محاولة الخياشيم التنفس بالصوت الذى سمعه من داخله وفى الحيوانات كان الصوت خافتا لكن موجودا..

obeikan.com

انتقل فو بعدها الى الأشجار يبحث عن الصوت بداخلها فلم يجده.. انتقل بعدها الى الفاكهة المقطوفة من الأشجار فلم يجد الصوت..

تسلق فروع الأشجار بعد ذلك ليسمع الثمار فلم يجد الصوت ..

بعدها بأيام كانت هناك جنازة ودخل فو الى الغرفة التى يحتفظون فيها بالميت..

فقد كانت عادتهم إذا مات أحد أثناء الليل أو منتصف النهار أن يبقى وسط أهله حتى وقت الدفن..

وهو مع طلوع الشمس إذا كانت أنثى وطلوع القمر إذا كان رجلا فبهذه الطريقه سيذهب كليهما الى العالم الآخر فى يوم جديد..

وكان من ضمن المراسم أن يقترب كل أفراد القبيلة من الميت ليودعوه بنظرة أو بتربيته على وجهه أو بإشارة ما..

لكن أثناء هذه الجنازة حدث شيء جديد حيث تقدم فو الى الجثة ورفع يد الميت ووضعها على أذنه فلم يسمع شيئا..

فتركها تسقط بجانب الجثة..

الغريب بعد ذلك – بعد أن أعلن فو اكتشافه - أن هذا أصبح تقليدا فى القبيلة فأصبح لزاما على أحدهم رفع يد الميت وتركها تسقط بجانبه..

و ربما كان هذا التقليد الذى بدأه فو هو ما عكفنا نحن على فعله حتى الآن..

فأنا لا أعلم لماذا نفعل ذلك حتى نتأكد من موت أحدهم..

بل أتخيل أنى قد أكون نائما ويأتي أحد ليرفع يدى فتسقط فيعلن موتى وأنا فى سابع نومه..

ولا أعلم ماذا ينتظر من يرفع اليد أن يحدث لأثبت أننى مازلت على قيد الحياة..

هل أصفعه مثلا أم أؤدى رقصة أفعي الكوبرا على المزمار بيدى ليتأكد أننى حي ..

لم يستغرب أحد من فعلة فو سوى العجوز..

نظرت اليه خلسة ، ولم تبين حقيقة مشاعرها ..

لكنها قررت أن تراقب فو جيدا فى الأيام القآدمة ..

بقيت المشاهد كلها معلقة فى ذهن فو الى أن أتت الإجابة عندما سقطت بجانبه ثمرة جوز هند فأخذها ووضعها على أذنه ليسمع الصوت بسرعة وسمعه بالفعل نتيجة تحرك السائل الذى كان ما زال يرتج بداخل الثمرة ، استغرب ذلك فقد كان حاول مع ثمار جوز الهند التى فى كوخ العجوز قبل ذلك ولم يسمع شيئا ، كرر التجربة مع الثمار الأخرى من جوز الهند فلم يسمع شيئا، أدرك فو أنه لم يسمع شيئا لأن ثمرات جوز الهند الأخرى كانت قد ماتت، هنا أدرك فو لماذا كانت ثمرة جوز الهند مقدسة عند قبيلته، لكن جانبه الصواب هنا أيضا لأن جوز الهند كان مميزا ومقدسا لأنه قليل فقط ، فلو كان هناك الكثير من الذهب والقليل من الفضه

فى هـذا العـالم لنشـأنا فى عـالم فـضى باقتـدار ..

عـلى أى حـال كانـت هـذه العوامـل كافيـه لـكى يكـون فـو أول نظرياتـه عـن هـذا الصـوت أنـه الـروح الموجـودة فى كل مـا يتحـرك فقـط ، وأن مصـدر هـذا الصـوت هـو القمـر والشـمس اللـذان يخرجـان مـن تحـت البحـر ، فيسـببان المـوج ثـم يبحثـان عـن زوج يمـارس الحـب فى العـراء فـإن لم يجـدا فـإن الشـمس والقمـر يعطيـان روحهـما الى الحيوانـات والأسـماك وثمـار جـوز الهنـد فقـط

الخطـأ الأكـبر هنـا أن فـو طـوع اكتشـافه لظـروف محيطـة ، بحيـث لا يتعـارض اكتشـافه مـع معتقـدات قبيلتـه ، سـواء أراد فـو ذلـك أم لم يرد، سـواء أردنـا نحـن ذلـك أم لا ، كلنـا يطـوع أفـكاره طبقـا للمعتقـدات السـائدة فى عـصره ، كلنـا لا نريـد أن ننبـذ وتنبـذ أفكارنـا ..

عـلى العمـوم كان عـلى فـو بعـد هـذه النظريـة أن يخطـو الخطـوة التاليـة ، الخطـوة التـى تـلى وجـود أى شيء مبـاشرة ، كان عليـه أن يمنـح هـذا الـشيء إسـما ..

وقد سماه مادو ، أى القمر فى الداخل

obeikan.com

فى دارو يبدأ العلم والخرافة من مكان واحد لأنه مجتمع بدائى..
ولأنه مجتمع يقوم على سلطة الفرد فإن العلم يذهب الى السلطة ولا تذهب السلطة الى العلم ولم تكن سلطة المال المنفصلة قد وجدت بعد ..
لذلك قرر فو أن يخبر العجوز وزعيم القبيلة معا ..
لكنه قرر أنه لا داعى للاستعجال فهو يعلم من تقلبات الطقس أن مواسم ندرة الأسماك قريبة ..
وبخبره بدائى و بفطرة انسان أدرك فو أن البطون الخاوية سهلة الاقناع وأن الأيادى الخاملة عن العمل سيسهل التلاعب بها ..
وعلى كل حال فإن مناقشة اكتشاف خطير كهذا ستحتاج الى وقت طويل ليس متاحا الان ..
فى مرحلة الانتظار أختبر فو نظريته أكثر ، رصد كل حيوان قابله، واستبعد الحشرات من الأشياء المتحركة التى بداخلها الصوت ، لكنه أثبت وجود الصوت فى كل حيوان وجده ، لكن التطور الأكبر أتى عندما قبض ذات يوم على ضفدع كبير الحجم نسبيا ، لم يحتج أن يسمع الصوت فبطن هذا الضفدع كانت تنتفض كلها ، ركز فو كثيرا مع بطن الضفدع ، أنها تهتز جدا ، وضع يده على بطن الضفدع فوجدها رخوة ، نام فو على ظهره فوجد بطنه تعلو وتهبط ، أفلت فو الضفدع ، لم يكن فو ببدائيته ووحشيته أيضا يقارن بوحشيتنا اليوم عندما نُشرح يوميا الاف من الضفادع الحية

فى معاملنـا ..

فكـر فـو أن الـروح التـى تتحـرك بداخلـه توجـد فى البطـن ، ولكنـه يسـمع صوتهـا فى اليديـن ، جـرب أن يسـمع الصـوت فى بطـن زوجتـه، فسـمعه أيضـا ، جـرب أن يسـمعه فى باقـى أنحـاء جسـدها ، أراد أن يجـد مصـدر الصـوت ، وجـده فعـلا فى الصـدر ، وجـد حولـه عظـام تحميـه أيضـا، والحمايـة لا تتوفـر إلا لـشيء مهـم ، اذن هـذا هـو مصـدر الـروح، اكتملـت بهـذه الملاحظـه نظريـه فـو ، و عـاد الى حياتـه الطبيعيه منتظـرا الوقـت المناسـب لإعـلان كشـفه ، كانـت حياتـه الطبيعيـه لكـن هـو نفسـه قـد تغيـر لم يكـن طبيعيـا أبـدا ، لقـد غـير الإكتشـاف نظرتـه لمـا حولـه ، أصبـح لأول مـرة ينظـر للدنيـا بهـذا المنظـور فقـط ، منظـور مـن لديـه شيء واحـد يحيـا ليثبتـه ..

التغيـير الأكـبر الـذى طـرأ عـلى فـو هـو أنـه أخـذ يراقـب كل أفـراد القبيلـة ، خوفـا مـن أن يسـبقه أحدهـم الى الاكتشـاف ، فقـد رسـم لنفسـه خطـه لا يريـد أن يفسـدها أحـد ، ورغـم حـذره الشـديد وانشـغاله بالمراقبـة لم يكتشـف فـو أن العجـوز تراقبـه..

كان دور المراقـب المتحفـز هـذا ، هـو نفـس الـدور تمامـا الـذى تقمصـه داروين قبـل أن يعلـن عـن اكتشـافه الغريـب ، الاكتشـاف الـذى تـردد داروين نفسـه فى اعلانـه قبـل أن يعلـم أن هنـاك مـن يعمـل عـلى نفس الفرضيـه ، فخـرج داروين عـلى عجـل وبـدون أن يكمـل دراسـته -كـما أقـر بنفسـه فى مقدمـة كتابـة - بنظريـة خياليـة تعتمـد عـلى شـواهد

حقيقية لكنه فسر الشواهد بنظرية خرافية غير قابله للدراسة فى أصولها وبالتالى غير قابلة للدحض والتفنيد ، والأهم أنها أحدثت جلبة كبيرة قضت على باقى النظريات الأخرى الأكثر تعقلا ..

***

انحنى زعيم القبيلة قليلا وهو يخرج من كوخه الكبير ، رغم أنه لم يكن هناك داع للإنحناء فباب الكوخ كبير وهو كان مازال فى منتصف الخمسينات من عمرة وقوى البنية أيضا ، إلا ان الزعيم كان دائما ينحنى حتى تكون خصلة شعره الصفراء أول ما يظهر منه خارج الكوخ ، وقف لثوان خارج الكوخ حتى يعى الجميع خروجه ، كان أفراد القبيلة منشغلين بأعمالهم ، فالوقت متأخر بالنسبة لهم ، لأن زعيم القبيلة يصحو متأخرا لأن يد الشمس لن تقدر أن تلسعه ، ولم يكن ذلك راجعا لشيء سوى ان سقف كوخ الزعيم كان الأكثر دقه فلم يسمح لأشعه الشمس باختراقه و ان كوخ الزعيم هو الوحيد المزود بشبابيك محكمه أيضا ، فلم تكن الشمس تدخله إلا على استحياء من على الباب ، مشى الزعيم فى اتجاه الشاطئ ، كان يمشى بطريقه غريبة حيث تتلكأ رجله اليسرى قليلا فى حركتها عن اليمنى، لم يكن ذلك لعيب خلقى فيه بل لمرض أصاب أحد أجداده ، ومن يومها أصبحت هذه طريقه الزعماء فى المشى ، ففى مجتمعات سلطة الفرد تطغى صفات المنصب على صفات

مـن يتـولى المنصـب حتـى أن هـذه المظاهـر تكـون فى معظـم الأحـوال سـبب رغبـة النـاس فى المنصـب ، انتظـر فـو بعيـدا ، فهـو يعـرف روتـين الزعيـم اليومـى ، وككل مجتمعـات سـلطة الفـرد أراد قبـل كل شيء أن يتأكـد مـن حالـة الزعيـم المزاجيـة اليـوم ، فهـو يعلـم أن مصـير كشـفه يتوقـف عـلى مـدى قبـول الزعيـم لـه ، بالإضافـة طبعـا الى حسـن اختيـار كلماتـك ، وأن تخاطـب الزعيـم بمنطقـه ومـن وجهـة نظـره هـو وليـس أنـت فأنـت لا تعنـى شـيئا بالنسـبة لـه ، لكـن فـو كان أذكى مـن ذلـك أيضـا ، فخطـى خطـوة أكـبر حيـث أنـه عـزم عـلى عـرض اكتشـافه غـير كامـل أمـام الزعيـم ، بحيـث يـشرح كل المعطيـات التـى وصـل اليهـا بـدون النتيجـة النهائيـة و يـترك هـذه النتيجـة السـهلة الواضحـة البديهيـة للزعيـم لـكى يقولهـا كأنـه توصـل اليهـا بنفسـه ، هكـذا يصبـح هـو مجـرد مشـارك و يصبـح الزعيـم صاحـب الفضـل ، ولم يكـن هـذا ليزعـج فـو فأحلامـه التـى يأمـل أن يجنيهـا مـن وراء الاكتشـاف أهـم مـن نسـبه الاكتشـاف لـه ، و هـو يريـد موافقـة الزعيـم أولا و دعمـه ثانيـا فى مـا يخطـط اليـه ، و لأن الزعيـم سـيعتبر أنـه شـخصيا صاحـب الاكتشـاف فأنـه سـيوفر لـه كل الدعـم ، وكنـوع مـن المواثيـق غـير المكتوبـة المتعـارف عليهـا فى مجتمعـات سـلطة الفـرد سـيجعل الزعيـم مـن فـو قائمـا عـلى المـشروع مكافـأة لـه عـلى اسـهامه البسـيط ..

لذلـك أراد فـو أن يطـرح اكتشـافه وملاحظاتـه عـلى مسـامع الزعيـم وحـده أولا ، حتـى يقـوم الزعيـم بإخبـار القبيلـة بنفسـه ..

ذهب فو الى الزعيم فى جلسته أمام الكوخ وقص عليه اكتشافه كما خطط بالضبط ، وعرض عليه حيرته فى تفسير كل الشواهد التى رآها ولاحظها حتى الآن وقاده فى كل الخطوات التى رسمها له ولعب الزعيم الدور المخطط له بدقه بإعلان اكتشافه للروح التى ينقلها الشمس والقمر الى الجزيرة ، وأن الشمس والقمر هما الروح التى يجب أن نكتشفها ونعلم من أين يولدان كل ليلة ، هنا أفصح فو عن فكرته بأن يذهب الى حيث رأى الشمس والقمر يولدان لاكتشاف العالم المختبئ خلف المختبئ ووافقه الزعيم فى ضرورة فعل هذا وأضاف بعض الملاحظات التى تفيد بأنه كان يفكر فى نفس الأمر من فترة ..

وانصرف فو ، وقبل غروب الشمس جمع الزعيم أفراد القبيلة ليخبرهم بما لاحظه فو وبما وصل اليه اكتشافه هو ..

بمجرد أن انتهى الزعيم من كلامه انقلب المكان الى سيرك ، وضع الكل أولا أيديهم على آذانهم وأغلقوا آذنهم الأخرى ، ثم رقد بعضهم على بطنه وسمع الباقون الصوت القآدم من صدورهم ، ثم تناوبوا ، حتى اقتنع أفراد القبيلة كلهم بوجود الصوت لدى بنى جنسهم ، ركض طفل خلف أرنب وآخر وراء فرخه وسمعوا الصوت من داخلهم و نأولوهم لباقى أفراد القبيلة ، التقط أحدهم ثمرة جوز هند من كوخ العجوز ولم يسمع الصوت ، تأكد الجميع كل بطريقته من الصوت ..

بـدأت بعـد ذلـك مناقشـة المهمـة الاستكشـافية ، عارضـت العجـوز عـلى غـير مـا توقـع فـو هـذه الرحلـة ، فقـد كان يظـن أنهـا ستسـانده ، فاكتشـاف مـكان روح الأجـداد ليـس مناسـبا ، ليـس مناسـبا أن نخـترق خصوصيتهـم ، لكـن كان صعبـا أن يتفهـم أحـد موقـف العجـوز ففـى رأيهـم أنهـا عـلى وشـك الإنتهـاء ولذلـك فهـى زاهـدة فى أى اكتشـاف جديـد ، عندمـا توالـت الآراء التـى ترفـض رأى العجـوز أضافـت العجـوز بـإصرار شـديد أن هنـاك حكمـة مـا مـن عـدم اختـلاط العالمـين ، اعـترض آخـر بنـاءا عـلى رأى العجـوز ، و قـال آخـر رأيـه بـأن يتـم التمهـل فى دراسـة الموضـوع لأن إرسـال أحـد لاكتشـاف المـكان يحمـل مخاطـرة كبـيره ، كانـت الحـيرة هـى المسـيطرة عـلى الجميـع ، حتـى أن بعـض مـن أبـدوا رأيهـم خالفـوه فى وسـط المناقشـة ذاتهـا ، فبعضهـم ولأول مـرة يفكـر ، أمـا الزعيـم فصمـت حتـى أنهـى الـكل كلامهـم وحججهـم ، فهـو يعلـم أن القـرار كامـلا سـيكون لـه نظـرا لغيـاب أسـطورة أو خرافـة تمنـع القيـام بالأمـر ، فأعلـن أنـه سـيبعث مـن يكتشـف مـكان خـروج الأقـمار ، لكـن أعـمالا للحـذر أخبرهـم الزعيـم أنـه سيسـمح للرحلـة أن تخـرج عـلى أن تعـود إن لم تجـد بيـت الشـمس والقمـر قبـل أن تنتهـى يـد الجزيـرة فى الليـل ..

وأخـذ يـشرح لأفـراد القبيلـة أنـه يقصـد بذلـك انعـكاس صـورة الجزيـرة عـلى صفحـة المـاء ..

أو أن تختفـى مـن أمامهـم الجزيـرة فى النهـار ، وكان يقصـد حتى تختفى

الجزيـرة أو انعكاسـها عـلى صفحـه المـاء ، كان قـد سـمع الـكلام لتـوه مـن فـو ولم يـتردد فى الحديـث عنـه كأنـه اكتشـافه أيضـا ، فقـد عـزم عـلى أن يجعـل فـو يشـارك فى المهمـة وبهـذا يكـون قـد أوفى بنصيبـه مـن عقـد بيـع الأفـكار ويكـون فـو قـد قبـض الثمـن كامـلا ..

تطـوع فـو أول شـخص للمهمـة ، وأمـر زعيـم القبيلـة ابنـه الأكبر بـأن يرافقـه ، وأن يكـون فى المقدمـة عندمـا يصلـون كنـوع مـن الاحـترام، وأن يـبرز خصلتـه الصفـراء حتـى تعلـم الشـمس والقمـر أنـه مـن سـلالة زعيـم القبيلـة تمامـا كـما يفعـل هـو كل يـوم عندمـا يخـرج مـن كوخـه ليبـدى الاحـترام لهـما ، كان عليهـم أن يختـاروا اثنـان مـن الإنـاث أيضـا فاختـار الزعيـم ابنـة العجـوز لكـن العجـوز أصرت عـلى الذهـاب معهـم بـدلا مـن ابنتهـا و تطوعـت زوجـة فـو للذهـاب معـه فهـى متحمسـة للرحلـة وإن كان ذلـك لا يبـدو واضحـا عليهـا ..

ابتسـمت العجـوز بخبـث لفـو ، إنهـا مؤيـدة للفكـرة تمامـا ، صحيـح أنهـا لم تتخيـل أن يكتشـف فـو اكتشـافا خطـيرا كهـذا عندمـا كانـت تراقبـه ، لكنهـا تحلـت بالحكمـة لأن تتركـه يعمـل بـدون تدخـل منهـا، والحكمـة لـكى تعـارض أولا بـدون دليـل أو خرافـه ، فتتحكـم فى دفـة المعارضـة مـن البدايـة ، فتكـون هـى المعـارض الأكبر فـإذا اقتنعـت لـن يقـوى أحـد عـلى المعارضـة بعدهـا ، وهـى تمثيليـة هزليـة تنطـلى عـلى العامـة كثـيرا ..

أما فو فقد أسعده أنه انتصر ، وحقق هدفه فى الذهاب للرحلة ..

اعلم انك كونت اعتقادا الآن عن فو أنه شخص ساذج ، لكن أريدك أن تعلم أن فو فى فكرته هذه لم يختلف كثيرا عن طريقة تفكير الاوروبيين المتقدمين جدا بالنسبة له عندما ظنوا انهم اذا عبروا البحر سيجدوا الهند فى الناحية الأخرى منه ، و استغرق الأمر سنوات كثيرة بعد أن وصلوا لهذه الأرض قبل أن يدركوا خطأهم، ناهيك عن فكرة أن الأوروبيين جهزوا أساطيل كاملة للذهاب الى الهند من أجل تسهيل الحصول على التوابل ..

بدأ فو فى التفكير فى خطوته القآدمة فعليه الآن أن يعد العده ويخطط لرحلته ، وأن يتحمل صلف ابن زعيم القبيلة الذى يظن أن أبوه هو صاحب الاكتشاف ولكنها كانت الى حد ما مهمة سهلة فقد تعود التعامل معه منذ كانا صغارا يحضران معا دروس العجوز ، فسنهما متقارب ولكن ابن الزعيم أكبر

بدأ المشروع القومى من الصباح الباكر ، ولم يخلو الليل بالقطع من سيرك مصغر ، جلس فو مستمتعا وهو يرى أفراد القبيلة يختبرون نظريته ويرى خيبه الأمل فى عيون البعض ويرى الإندهاش فى عيون بعض آخر ، فكر فى أنه كان يجب أن ينسب الاكتشاف اليه ، لكن بماذا يفيده هذا النسب اذا كان سيقضى باقى عمرة هنا ، و ربما قضى باقى عمره يحاول اثبات نظريته اذا واجهها الزعيم بالرفض، وأيدته العجوز بخرافة جديدة تختلقها ، وأى نفع سيجلبه عليه الاكتشاف اذا لم يرحل ليكتشف ما وراء هذا العالم ، على أى حال لم

يكـن فـو يحتمـل المخاطـرة أبـدا..

اجتمعـوا فى الصبـاح الباكـر ، الأربعـة المختاريـن وزعيـم القبيلـة واصطـف خلفهـم أفـراد القبيلـة يراقبـون فلـم يكـن لديهـم شيء أهـم يفعلونـه ، وكان إحسـاس الإثـارة شيء جديـد جـدا عليهـم ..

وقـف سـو ابـن الزعيـم حائـرا فى ما يجـب عليـه أن يفعـل ، الى أن اقترب منـه فـو ولقنـه فكرتـه كـما لقـن أبـاه ، أن عليهـم أن يجمعـوا جـذوع الشـجر ويضموهـا الى بعضهـا ببعـض الحبـال التـى يصنعوهـا مـن أوراق أشـجار معينـه كـما يفعلـون فى أسـقف منازلهـم ، كلفـه ابـن الزعيـم بصـوت عـال بمـا يجـب عليـه فعلـه ، و قـد بـدا بعـد ذلـك ممتنـا لمـا فعلـه فـو ، ومسـتغربا أن فـو لم يفعـل مـا دأب عليـه عندما كانـوا صغارا فى تحديـه الى أقـصي حـد آمـن ، أقـصي حـد لـن يقلـب الأمـر بينهـم الى مواجهـه ، بـدا فـو فى تجميـع الجـذوع ، صحيـح أن فـو لم يكـن يعـرف العـد لكنـه تعلـم التناسـب أثنـاء محاولتـه لمعرفـه مـكان كوخـه مـن فـوق الجبـل ، فأخـذ يـرص جـذع شـجرة لـكل فـرد مـن المشـاركين فى المهمـة ، وبـدا هـو وسـو وزوجتـه فى ربطهـم بالحبـال، خرجـوا لتجربتـه أولا ، فـو وسـو فقـط فـكاد أن يغـرق مـن كـثرة الحمـل، فعـادوا سريعـا الى الشـاطئ ، فبـدا أفـراد القبيلـة يسـاعدونهم ، بـدأو يناسـبون لـكل شـخص جذعـين واختـاروا جذوعـا أكـبر هـذه المـرة ، و جمعـوا فروعـا لبعـض الأشـجار حتـى يسـتخدموها فى التجديـف ، خرجـوا للتجربـة مجـددا ، و نجحـت هـذه المـرة ، طفـا الطـوف الخشـبى جيـدا ، عـادوا

الى الشـاطئ ليجربـوا اذا كان سـيحمل العجـوز و زوجتـه (دى) أم لا ، نجـح الطـوف فى الصمـود ، فعـادوا الى الشـاطئ ، و ركـب الزعيـم معهـم و اخـذوا جولـة أخـرى فى الخليـج ، ثـم عـادوا مـرة أخـرى و اعطاهـم الزعيـم مباركتـه لبـدأ المهمـة.

obeikan.com

مائدة من المحاربين والقتلة

أخبر أحد المساعدين العلماء أن الغداء اليوم سيكون على متن اليخت مع السيد آدم ، فقد حادثهم ليخبرهم أنه سيزورهم اليوم و طلب منهم أن يبلغوا العلماء

كانت هذه ستكون بالتأكيد استراحة جيدة لهم بعد يومين من العمل المتواصل ، و إن كان أخف بكثير مما تعودوا عليه ، فقد قام المساعدين الأشداء الذين أرسلهم آدم بمعظم العمل ، حيث فصلوا غطاء القبر أولا محافظين عليه بقدر المستطاع ، ثم نزلوا الى القبر وقاموا برفع العظام التى وجدوها بالداخل ، و لم تكن مصنوعة من الذهب بالتأكيد...

و لم يجدوا شيئا يذكر غير ذلك ، لا فى داخل القبر ولا فى محيطه..

سوى بعض الرسوم الهزيلة المرسومة على حوائط الكهوف المنتشرة فى هذه المنطقة

صعد العلماء أولا الى اليخت ثم تبعهم المساعدين ، طلب أحد المساعدين دخول الحمام و أرشده آدم بنفسه الى مكانه فقد كان باقى الطاقم منشغلا بتحضير الغداء ، عاد آدم سريعا و جلس بجانب العلماء على مقدمة اليخت و سألهم عن مصير رحلتهم ،

فأخبروه بما وجدوه وكان هذا مخيبا للآمال بالنسبة له ..
سألهم إذا كان ما وجدوه أتاح لهم وضع نظرية عن ما حدث على هذه الجزيرة أو عن ماهية القوى الخارقه لفو..
وكررت الحياة لعبتها بتكرار ما حدث فى دارو قديما مع تغير بسيط.. فكما خرج العلم والخرافة من مكان واحد قديما كان على العلم أن يهتدى بالخرافات الآن ، لآن الخرافات سبقته ..
فأصبح دور العلم غالبا هو دحض الخرافة ، لأن انتصارها ليس مقبولا فى أعين العلماء ..
استمع آدم الى كلمات العلماء عن الاكتشاف العادى من وجهه نظرهم الى الان ، و استمع لخيبه أملهم فى عظمه الاكتشاف ثم دعاهم الى الغداء.. ودعا أيضا المساعدين و طاقم المركب ، قال أنه يحب دائما أن يكون على اتصال بمن يعملون معه فى شركاته وأعماله .. لأنه بحاجه الى هذا الاتصال أكثر منهم ..
نظر آدم الى المائدة المنصوبة أمامه قبل أن يسأل لماذا يهتم الإنسان بالتاريخ ؟
بماذا سيفيدنا ما سنكتشفه هنا ..
و بماذا افادنا التاريخ قبل ذلك
هل تعلمنا منه شيئا ، لم يساهم التاريخ إلا فى تأجيج الصراعات قبل ذلك ..
إن تاريخ الإنسان وأساطيره تكرس للخوف كدافع للحياة ..

ولم يمنعنا هذا الخوف أبدا من مد أيدينا لعدونا التاريخى إذا كانت لنا مصلحة فى ذلك ..

أعلم أن هناك عِبر فى التاريخ يجب أن نتعلمها لكننا فى جميع الأحوال لم نتعلم منها شيئا ..

نحن لا نختلف كثيرا عن هذه المائدة التى أمامنا ، فهذه مائدة من المحاربين والقتلة

كل سمكة أمامك أكلت أسماكا أصغر منها وحاربت أسماكا أكبر منها ، والروبيان كذلك والاستاكوزا وكل كائن بحرى فعل ذلك

هل لو كانت الأسماك تحكى تاريخا لاختلف صراع أحفادها ..

إن معظم الأسماك يتبع دورة فى حياته من يوم خلق ، و هو لم يتعلم التاريخ ، ان تاريخنا مثل تاريخ هذه الكائنات ، رحلة حياة وصراعات لكننا أضفنا إليها عبرا نعلم جيدا أننا لن نتعلم منها شيئا لنجمل صورتنا كبشر ..

أخبره أحد المساعدين أن تخليد الأجداد وتمجيدهم يعطى الأحفاد راحة بأنهم فى يوم ما سيخلدون ويمجدون أيضا ..

قاطعه عالم بأن التاريخ بالفعل حاجة انسانيه ، لكن مع الوقت اختلفت هذه الحاجة حيث أنها فى البداية أهميه التاريخ، لتجميع الحقائق المستخدمة فى الاستدلال ، فالاستدلال كان و ما زال تجميعا لكل شامل من أجزاء متفرقة ..

أما بعد ذلك فقد تحول التاريخ الى رفاهية ..

تدخل آدم مجددا فى الحديث ليسأل العالم :

- ما زلت لم تجب عن سؤالى ، لماذا نحتاج الى التاريخ؟

ثم دب معلقته فى الحساء أمامه وأخرج رأس سمكة رفعها وكأنه يريها للعالم ليقول له :

- إن فى هذه الراس الصغيرة اختزنت السمكة تاريخها كله ، اعداؤها ، طريقة أكلها وأساليبها الدفاعية ، طريقة اقتناص الفرائس، التزاوج ، الرحلة التى عليها أن تقطعها لتضع بيضها فى مياه دافئة وهى تبلغ فى بعض الأحيان مسافة نقطعها نحن بالطائرة فى ساعات، أين تختزن الأسماك كل هذا ؟!

أطلق ضحكة قبل أن يكمل :

- فى هذه الرأس ..

أما نحن برأس أكبر منها بكثير فنحتاج أن نتعلم كل شيء ، نولد لنتعلم لغة البلد التى نعيش فيها ، و تاريخه وكل شيء عنه .. تخيل مثلا طفلين توأم ولدوا معا ثم تربى كل منهم فى بلد مختلف عن الآخر ، بل لنضيق المقارنة ونقول أن هذين الطفلين تربوا فى بيتين متجاورين ، ألن يكون هناك اختلاف بينهما ..

ضحكت احدى فتيات طاقم الضيافة وهى تقول :

- اذن فهذا السمك أفضل منا كثيرا فله ذاكرة مدمجة بتاريخ مدمج

ضحك آدم و هو يضع يده على ظهرها قائلا :

- عزيـزتى ، إن هـذه الأسـماك تحمـل مـا لا يمكنهـا تغيـيره ، ونحـن نحمـل ذلـك أيضـا ، لكـن بصـوره محـدودة ، نحـن نحمـل ذاكـرة الجسـد ، رئتنـا تعلـم كيـف تتنفـس ، قلبنـا يعلـم كيـف ينبـض ، أعيننـا تعلـم كيـف تتـواءم مـع الضـوء ..

لكـن لم نقتـصر عـلى هـذه الذاكـره فقـط لأن الإنسـان ولـد ليبـدع ويفكـر ويغـير ..

ليـس لنـا ذاكـره مصمتـة لا يمكـن التعديـل فيهـا ، بـل لنـا ذاكـره نتحكـم فيهـا .. لقـد خلقـت كل المخلوقـات فى الكـون لـدور محـدد ، أمـا نحـن فقـد خلقنـا لنختـار دورنـا وأعدائنـا وعاداتنـا وتقاليدنـا ..

إن كـم الاختلافـات بـين البـشر كفيلـة بـأن يكـون كل إنسـان فصيلـة حيـة قائمـة بذاتهـا ..

لجمـت حكمـة آدم ألسـنه العلـماء ، إلا أن أحدهـم حـاول اسـتعاده دفـة الأمـور قائـلا :

- أتعلـم أننـا لاحظنـا شـيئا غريبـا هنـا ، إن النباتـات عـلى هـذه الجزيـرة تسـتجيب لدقـة الأرجـل بطريقـة غريبـة وكأنهـا تكررهـا ، نعلـم ذلـك لأننـا أحضرنـا معنـا آلات كشـف الكـذب ، و هـى آلات تسـتطيع رصـد مشـاعر النباتـات أيضـا ..

ضحك آدم قائلا :

- إن آلات كشـف الكـذب لا تعلـم الحقيقـة مـن الكـذب إنهـا تقيـس توترنـا عندمـا نكـذب فقـط ، وانفعالنـا وتوترنـا يختلـف مـن

شخص لآخر لهذا يسألونك فى بداية الاختبار أسئلة يعلمون اجابتها المؤكدة ، حتى يستطيعون مقارنة انفعالاتك وتحديد الصدق من الكذب ، أما ما تفعله يا عزيزى باستخدام آلات كشف الكذب على النباتات فهو قياس انفعال بدون مرجع ، و هو ما لم تخترع أجهزه كشف الكذب لفعله ..

تماما مثل البعثة الاستكشافية كلها ، هل هناك يقين بأنك ستجمع الدلائل بصورة صحيحة لتصل لتفسير ما حدث فعلا ..

سادت لحظة من الصمت قبل أن يردف آدم :

- أنا لا أقلل من شأن البعثة فانا أكثر المتحمسين لها

قالها ببرود غير مقصود ، ثم مد يده و بدأ الكل فى الأكل بدون أن يتبادلوا أى كلمه أخرى سوى بعض المجاملات والأحاديث العامة حتى رحل آدم عند مغيب الشمس ..

وقفوا على رمال الخليج يحيون آدم الذى كان يحييهم من على ظهر اليخت وعلى شفتيه كلمات نطقها وكررها بصوت خافت :

- أخشى أن تفسروا خرافات الماضى بخرافات جديدة وتضيع الحقيقة بين خرافتين ..

obeikan.com

طوف متعدد الاحلام

قد يكون الطوف واحد ، لكن أحلام راكبيه متعددة ..
قضى راكبو الطوف المختارون ليلتهم كل فى حلمه ، نعرف كلنا نوايا فو وقد انحصرت حتى الآن فى ترك الجزيرة ..
لم تكن لدى زوجة فو نوايا واضحة ، فقط الحماس والاثارة ..
واجتمع زعيم القبيلة مع ابنه فى هذه الليله ، استغرب الاثنان من تصرف فو ، فلطالما أوعز سو لأبيه أن فو يمثل تهديدا كبيرا لحكمهم ، رد عليه أبوه :

- أعلم ذلك ولذلك وضعتك أنت لا أنا على متن هذا الطوف قالها الزعيم بابتسامه عريضة ثم أضاف إن فو لديه هدف لا نعلمه لكن إذا كان من الممكن أن نستفيد منه فلنفعل ، كان الهاجس الذى يجمع الاثنين هو إيجاد شرعيه لحكم أسرتهم ، فهم أكثر من يعلم أن مجد جد الزعيم لن يبقى وأن الأسطورة التى اختلقوها لتفسير خصلة الشعر الصفراء لا تنطلى على أحد ، بل إن ابو الزعيم نفسه عندما منح زوجته لزعيم الغزاة كان يبحث عن شرعيه لنسله ، و هكذا تكون دائما النظم الغير قائمه على شرعيه، واهنة وضعيفة و تتفنن فى مراقبه كل نفس وكل كلمه تصدر من

obeikan.com

رعاياها ، و ليس هذا نابعا إلا من قناعة بالانهيار تتولد تلقائيا لدى تلك النظم فتولد لديها هستيريا فتصبح كل كلمة أو فكرة مهددة بالانهيار ، نصح الزعيم ابنه بالحذر و طلب منه أن يعود بمجد جديد لعائلتهم ..

أما العجوز فقد كانت الأغرب بين الجميع ، لقد كانت تريد قصة جديدة تحكيها للأطفال فقد شغلت دور العجوز هذا لزمن طويل وأتى أطفال ورحل أطفال وبقيت هى والحكايات ثابتين وجفت منابع الخرافات ومثلت لها هذه الرحلة فرصة جديدة لتحكى حكايات عاشتها ، لم تكن تحلم بأكثر من ذلك ..

بدأت المهمة الاستكشافية مع أول ضوء من الفجر ، الأمواج عاندتهم كثيرا قرب الشاطئ لكنها كانت أقل عندا عندما توغلوا، وقف جميع أفراد القبيلة على الشاطئ ينظرون اليهم ، كان فو و دى و سو يجدفون والعجوز طبعا لا تشارك ، عندما بدأ الموج يقل عنادا رأى ابن الزعيم أن ينظر خلفه ويبقى الخصلة الصفراء اللعينة فى مواجهه أفراد القبيلة ، واصل فو و دى التجديف حتى اوقفهم سو ، لأن يد الشمس اختفت مع انتصاف النهار وأصبحت الشمس فوق رؤوسهم تماما ، لكن فو أخبره أن يد الجزيرة لم تختف بعد ، فأخذوا راحة قصيرة ، ثم شارك سو فى التجديف ، فما دام لا يرى خصلة أبيه فلن يرى أبيه خصلته ، لم يبح بذلك طبعا ، فعندما تختفى ميزتك الأهم فى الحياة لن تكشف ذلك

بنفسك أبدا ، وقف فو بين الحين و الاخر ليرى أبعد ولكن لم يجد شيئا والجزيرة قاربت على الاختفاء ، حتى غابت عنهم الجزيرة ، فأصدر ابن الزعيم قراره بالعودة حسب ما أمر به والده ، حاول فو أن يماطل قدر المستطاع لكن لم يكن هناك شيء حوله يساعده، لم يروا أى شيء حولهم ليثبت به نظريته ، أو حتى شيء يدفعه للمضى قدما فى المغامرة ، وافق على العودة ، و كله أمل فى أن يقنع الزعيم بأن يمضوا المرة القآدمة أكثر من ذلك ، كان يحس براحه ، فقد اختفى شكه من جدوى قراره بنسبه كل شيء للزعيم و ابنه، الان هو لم يخسر شيئا لان الفشل ليس فشله فمن نسبت اليه الفكره سينسب اليه الفشل ، كان مرتاحا أيضا لأن الزعيم سيدافع عن اكتشافه ، وسيرسلهم بالتأكيد فى رحله أخرى ، أراحه التفكير أن رحلته أول المهمات لكنها لن تكون الأخيرة..

لم تبد العجوز أى انفعال ، فقد انشغلت منذ بداية الرحله فى النظر لكل شيء ، الى الجزيرة أولا ، فهى لم تراها من بعيد من قبل ، ثم الى داخل البحر ، حتى تملك منها التعب ، غالبا من أثر الشمس رغم أنها اخذت فرعا من الذى استخدموه للتجديف لتستظل به ، اخذوا يجدفون طوال الليل و هم يلمحون من بعيد طيف الجزيرة، فمن فرحتهم بالاكتشاف لم ينتظروا ليلة يكون فيها القمر بدرا ، ساعدتهم الأمواج كثيرا ، لكن عندما وصلوا الى قرب الجزيرة لم يستطيعوا أن يروا شيئا ، حتى مشاعل النار التى يبقونها خارج

بيوتهم لم يروها ، فناموا من فرط التعب ، إلا فو بقى ساهرا رغم المجهود الكبير الذى بذله البارحة فلديه خطة لينفذها..

اخذ فو يجدف بهدوء بعد نومهم ليبتعد قدر الامكان عن الجزيرة، كان يريد أن يحدد مدى بعدهم عن بيت الشمس والقمر عندما تخرج الشمس من بيتها فقد فاته فعل ذلك عندما خرج القمر من بيته..

فى الصباح كان فو ما زال مستيقظا ، و خاب أمله فى أن بيت الشمس ما زال بعيدا ، أفاق الآخرون تباعا دى أولا ثم سو الذى بدت عليه الحيرة فى ما يجب أن يفعل عندما يصحو فى العراء ، لم يدرى ماذا يفعل بخصلة شعره الصفراء لكى تظهر أول شيء منه

ثم أفاقت العجوز كمن أفاقت من كابوس ، رددت بفزع :

- الغزاة الغزاة

لم يفهم أحد ماذا تعنى فأشارت الى الجزيرة :

- انها مركب الغزاة

استل فو و سو رمحيهما ووقفا متأهبين للقتال إلا أن العجوز هدأتهما وقالت أن الغزاة كانوا مسالمين ولم تمنع نفسها من أن تحكى لهم الحكاية مرة أخرى لأنه من الواضح أنهم نسوها ، لكن فو وسو ظلا شاهرين رمحيهما لأنهم لا يصدقون العجوز ، هم يصدقون انها رأت الغزاة و مراكبهم لكن لا يصدقون كل القصه، ادرك فو لحظتها أن هذا الصوت الذى سمعه هو صوت طبول الغزاة،

و أخبر سو بذلك ، أخذوا يراقبون قليلا فلم يروا أحدا ، فقرروا أن يدوروا حول مركب الغزاة حتى يجدوا جزيرتهم ، فى موقف آخر ربما توقف فو ليطلق اسما على جزيرته لكن الآن ليس وقتا مناسبا ..

اخذوا يجدفون بسرعة وعيونهم جميعا تمسح الجزيرة بحثا عن الغزاة لكن لم يروا أحدا ، الى أن وجدوا أنفسهم أمام الخليج الذى خرجوا منه و أفراد القبيلة متراصين يحاولون البحث عنهم ..

قفزت العجوز صارخة ، غير مصدقة أن جزيرتها تشبه مراكب الغزاة، والحقيقة أن الجزيرة لا تشبه مراكب الغزاة أبدا لكن العجوز عندما رأت المراكب كانت صغيره جدا ، و مع الوقت ومع حكاياتها عن الجزيرة التى تشبه صدفه السلحفاة المقلوبة انمحت الذاكرة الأصلية وبقى ما حكته العجوز وزادت عليه خرافاتها ، لم تكن العجوز المسكينة سوى بشر يتعلق بذاكرة مجده القديم وكلما تضائل دورة فى الحياة زادت حكايات مجده فى خياله ، تماما كحكايات العجائز عن جمالهم وحكايات الفقراء عن غنى اجدادهم عندما وصلوا الى الجزيرة قفزت العجوز فى الماء قبل أن يصل الطوف الى الشاطئ ، عندما اقتربت العجوز من افراد القبيلة كانوا قد اصطفوا بغير وعى بنفس ترتيبهم كما كانوا صغارا ، نزل الكبار على ركبهم ليعودوا صغارا مرة أخرى ، أخذت تحكى عن شكل الجزيرة من الخارج وكيف يبدو الخليج كحبل سرى ترتديه الجزيرة

الخضراء فى عنقها ، وكيف أن الجزيرة تبدو مثل جزر الغزاة تماما ، ينقصها فقط الأشرعة ، العجوز الخاملة التى لا تقوى على التجديف كانت تتحرك كطفلة وهى تروى حكايتها..

فى هذه اللحظة ولد عند جميع أفراد القبيلة بلا استثناء حلم جديد ، حلم السفر مثل الغزاة ، كان حلمهم جميعا من قبل ، لكن أى حلم ينطوى على مخاطرة لا يستطيع الجميع تحملها ، أما أن تخبر أحدا أن حلمك سيأتي اليك بدون أن تتحرك من مكانك ، فى هذه الحالة جزيرتك ، فهى فرصة قلما تأتى لأحد ..

لم يعارض سو أو والده الزعيم أن تحكى العجوز القصة ، فهى لا تمثل تهديدا لزعامتهم ، كما أنها بحكايتها قد آمنت لهم مخرجا من فشل العثور على بيت الشمس و القمر ..

وحده فو كان حائرا ، لقد أسفر الاكتشاف عن شيء آخر غير ما خطط له من البداية ، لكن هذه المرة لم يستطع ان يغالب النوم، عندما خرج من كوخه فى الصباح لم يجد الطوف ، اكتشف ان الزعيم اراد أن يرى الجزيرة من الناحية الأخرى هو أيضا و صحب معه العجوز لأنها أصرت على الذهاب ،واثنان من الرجال الاشداء، ولم يصحب ابنه معه حتى لا يشعر فو بأنه أقصي من الاكتشاف، فقد رأى الزعيم أنه قد يحتاج الى فو فى مرحلة لاحقه ، فرأى أن لا يقصيه أو ربما يتخلص منه الآن قبل أن يتأكد من عدم جدواه ، ولأنه أحس ان فو ربما يكون قد خبأ عنه شيئا من الاكتشاف

واحتفظ به لنفسه ..

مع ابتعاد الطوف عن الجزيرة رأى الزعيم قبيلته وجزيرته لأول مرة، قد يكون مدهشا كم الاختلاف الذى قد ترى عليه كل المسلمات التى بنيت حياتك عليها من منظور مختلف ، وقد استغرق الزعيم فى هذا المنظور كثيرا من الوقت ، حتى غاب الخليج عن عيونهم، فتقمصت العجوز دور المرشده السياحية و هى تحكى له اوجه الشبه بين جزيرتهم وجزر الغزاة ، استرجع الزعيم فى ذهنه حكايات ابيه و جده عن الغزاة ووجد فيها الى حد ما تقاربا مع رواية العجوز ، خاصة أن جده كان الوحيد الذى اقترب من جزيرة الغزاة، حيث صحبه زعيم الغزاة فى جولة بطوف صغير حول جزيرة الغزاة ثم ارتقوا الى سطح جزيرة الغزاة سريعا ثم عادوا

ما ان لمست اقدام العجوز رمال الجزيرة حتى اخذت تضيف حكايات جديدة وتفاصيل أكثر دقة عن الرحلة ، واجتمع حولها كل أفراد القبيلة إلا فو الذى حاول أن يلحق بالزعيم ليتكلم معه، ولكن الزعيم دخل الى كوخه مسرعا ، لقد كان المنظر بالنسبة له مهيبا ، و احتاج أن يفكر قليلا ويستشير ابنه قبل أن يعلن موقفه من فكره العجوز المجنونه ، فقد اقترحت عليه أن يصنع أشرعه للجزيرة يستطيعون بها التحرك كما فعل الغزاة بجزيرتهم ، طلب منها أن تقول ما تشاء ولكن لا تذيع ذلك الطلب أو حتى تلمح اليه حتى يمعن التفكير فيه ، أحس بأن الأحداث أسرع مما يمكنه

استيعابه ، فقد كان عليه أن يتعامل فى يومين مع مستجدات تفوق ما تعامل معه أسلافه كلهم مجتمعين ..

فتح الزعيم صندوقا مغلقا مخفى بعناية داخل الكوخ ، و أخرج اوراقا عليها رسوم كان أبوه قد رسمها لجزر الغزاة و أخذ يقارنها بشكل جزيرته ، انها بالفعل متقاربة ، لكن فكرة العجوز تنطوى على مخاطر كثيرة عليه أن يضعها فى الحسبان قبل الموافقة

فهو ككل الزعماء فى مجتمعات سلطه الفرد يفضل أن يحكم مجتمع فقير و جاهل ، وهناك شيء آخر وضعه فى اعتباره هو أنه لا يعلم ما يمكن أن تسفر عنه هذه المغامرة إن سمح بها ، فقد يضيع ملكه كله اذا صادف غزاة متقدمين فرضوا سيطرتهم على جزيرته اقترب فو من العجوز فور انهائها لقصتها الجديدة ، فأسرت له العجوز باقتراحها دون أن يسأل حتى ، اندهش فو من تغير موقف العجوز منه و من اكتشافه لكنه تجاوز اندهاشه فليس فى عقله بل جسده كله خليه واحده تنشغل بذلك ، المهم الان ان حلمه لم يمت ، سيرحل ، سيكتشف العوالم الأخرى ، لا يهمه وسيله ذلك عرف فو الأرق كصديق جديد ، فلم يغمض له جفن ، كان الأرق ناتجا عن الإثارة التى شهدها عندما طاف حول الجزيرة و بعيدا عنها..

صحيح أن فو يعيش على جزيرة ، و لكنها كانت أول مرة يرى فيها جزيرة ..

تـردد الزعيـم طويـلا فى الخـروج ، فـان كان قـد أفلـت البارحـة ليعطـى لنفسـه فسـحه للتفكـير ، فـإن هـذا لـن يكـون ممكنـا اليـوم ، لم يحسـم قـراره بعـد ، لكنـه كان يعلـم أن العجـوز لـن تحفـظ الـسر كثـيرا ، لذلـك فمـن الأفضـل أن يوافـق الآن والاكتشـاف منسـوب اليـه ، عـلى أن يوافـق بعـد ذلـك مجـبرا تحـت ضغـط أفـراد القبيلـة ، و لم يخـب ظنـه اذ كان فـو والعجـوز وباقـى أفـراد القبيلـة مجتمعـين أمـام كوخـه أخبرهـم الزعيـم بموافقتـه ، وعـلى الفـور طلـب بعـض أفـراد القبيلـة أن يذهبـوا الى أعـلى الجبـل للبـدء فى إنشـاء الـشراع ، أمـر الزعيـم فـو وسـو بالذهـاب معهـم ، و لم تنتظـر العجـوز دعـوة أو أمـرا ، كان عليهـم بالطبـع أن يحملوهـا أو يسـاعدوها فى بعـض المناطـق ، لكنهـا كانـت أهـم فـرد فى الرحلـه لأنهـا الوحيـدة التـى رأت شراع الغـزاة..

اقتادهـم فـو الى أعـلى تبـة مـن أقـصر طريـق ودلهـم عـلى أكـبر الشـجر وبقـى أن يجعلـوا الشـجر عـلى هيئـة شراع ، اقترحـوا فى البدايـة أن يصنعـوا الـشراع مـن جـذوع الأشـجار ، لكـن التنفيـذ كان مسـتحيلا ، وأخبرتهـم العجـوز أن الـشراع يتحـرك وجـذوع الأشـجار لـن تفعـل ذلـك، فلجـأوا الى أوراق الشـجر الكبـيرة ، وخاطوهـا باللحـاء ، وأخذهـم الحـماس لدرجـة أنهـم انجـزوا الـشراع فى نهـار واحـد..

فى الليـل جلسـوا معـا عـلى ضـوء النـار التـى أشـعلوها ، قبـل أن يصحبهـم سـو الى المـكان الـذى اعتـاد المجـيء اليـه عندمـا يصعـد الجبـل ، أراه كهفـا صغـيرا اعتـاد المكـوث فيـه ، خـارج الكهـف مـد سـو

يده و أخبرهم أنه فى هذا المكان تعود أن يرى النجوم اقرب ، مد يده كأنه يحاول أن يلمس النجوم ، لكن كانت النجوم دائما شبرا واحدا أبعد من يده ، داخل الكهف أراهم بعض الرسوم التى نحتها على جدار الكهف ، تفحصها فو قبل أن تلمع عيناه ويدرك أن سو حلم بالرحيل أيضا ، عندما التقت عيناهما لم تكن لأول مرة متنافسة بل جمعهم الحلم الواحد ، ثم أخذ فو سو والعجوز الى التبة التى يرى منها القبيلة ، علمهم التناسب وأراهم بيته وسط أصابعه ، استطاعت العجوز أن تجد كوخها بسهولة نسبه الى موقعه من النار الكبيرة التى يشعلها أفراد القبيلة وكذلك سو لأن كوخه يجاور كوخ أبيه ، لكن تبادل المعلومات فى حد ذاته كان علامة جيدة ..

أما العجوز فصحبتهم الى مكان مكشوف و أخبرتهم انها كانت مارست الحب هنا مع زوجها مرتين ، منحتها الشمس مرة ابنتها و منحتها فى المرة الثانية عمرا جديدا يضاف الى عمرها فأصبحت أكبر المعمرين..!

أخفت عنهم العجوز أنها كثيرا ما تختلس ثمار جوز الهند من عهدتها وتتناول سائل الحياة الذى بداخلها ، وهذا فى اعتقادها السبب الرئيسى فى طول عمرها ..!

جلست العجوز على جذع نخلة شبيه بذلك الذى تجلس عليه على الشاطئ ، وأخبرتهم أنها تعتقد أن النجوم هى أرواح فشلت أو

اختارت عدم العودة ، ثم أشارت بيدها الى مكان فى السماء وقالت أنها ستكون هنا ، فهى تعتقد أن هذا النجم هو زوجها ، فهى لم تري هذا النجم إلا بعد وفاة زوجها ..

أما فو فوجد نفسه أمام عالم جديد لم يكتشفه من قبل ، لم ينظر للسماء أبدا ، وكيف يفعل ذلك من كان مهموما بالأرض ..

لكن هذا لم يمنعه من التخيل ، تخيل أن بيت الشمس والقمر ليس فقط نهاية عالمه بل ربما يكون سبيلا للصعود لأعلى ، هناك بجانب النجوم كما يعبر القمر كل ليله

أردف سو أن هذا قد يكون صحيحا ، فكما يفعل القرود على فروع الشجر يمكننا أن نعتلى السماء نحن أيضا ، ثم نتدلى لنرى بيوتنا من هناك..

فى الصباح جرب فو وسو أن يتدليا من شجرة ورأوا الدنيا بالمقلوب لأول مرة ..

كما رأوا قبيلتهم كما تراها النجوم ..

عندما عادوا كانوا قد تغيروا جميعا ، تأثر كل منهم بالآخر ومنحه جزءا صغيرا منه واكتسب جزءا صغيرا من الآخرين فى صحبته ، إنها أول وأكبر متلازمة فى حياة البشر ، متلازمة الصحبة ، وهى شائعة لدرجة اعتبارها قاعدة ..

فى الصباح كانوا أكثر تعاونا ، بنوا شراعين آخرين بحلول الليل ، للأسف لم يكن باقى الأشرعة واضحا من الخليج فذهب أحد الرجال

ليدعـوا أفـراد القبيلـة جميعـا الى الأعـلى ، رأوا الأشرعـة وأثنـى الزعيـم عليهـا ومـع كل موجـة كبـيرة تقترب كانـوا يعتقـدون أن جزيرتهـم تبتعد داخـل المـاء أكـثر ، فى الليـل أقامـوا احتفـالا صاخبـا ، احتفـالا بمغـادرة الجزيـرة وهـم مـا زالـوا عليهـا وباختراعهـم المبهـر ، فى الصبـاح طلـب الزعيـم مـن الجميـع النـزول ، وطلـب مـن فـو وسـو والعجـوز أن يبقيـا هنـا ليراقبـوا ، ويعلموهـم عندمـا يـروا جـزرا أخـرى تقـترب لأيـام بعـد ذلـك لم يجـدوا شـيئا لكنهـم أصبحـوا أكـثر اقترابـا ، تشـاركوا الملاحظـات ، والحديـث عـن الأحـلام والأمنيـات ، اكتشـفوا فى مـا وراء الـكلام كثـيرا مـما أخفـاه كل منهـم بعنايـة ..

بقـوا فـترة طويلـة ، وتـولى فـو وسـو اسـتبدال الأوراق الذابلـة مـن الأشرعـة ، حتـى أتى موسـم الأسـماك مـرة أخـرى ، تحـدث بعـض أفـراد القبيلـة أن الموسـم قـد أتى مبكـرا وقبـل موعـده بكثـير لأن الجزيـرة تحركـت ، وأرسـل الزعيـم يطلـب حضـور فـو وسـو والعجـوز ، فالقبيلـة تحتـاج الآن الى الأيـدى العاملـة ..

وكـما بـدا واضحـا الآن لقـد أفلـح فـو فى اختيـار الوقـت الـذى طـرح فيـه فكرتـه ..

طلـب فـو مـن الزعيـم الإذن باسـتخدام الطـوف فى الصيـد ، وأذن لـه الزعيـم عـلى أن يرتبـط بنفـس ضوابـط الرحلـة الأولى ، عـرض سـو عـلى فـو مرافقتـه فى الرحلـة ، طلـب سـو ذلـك منـه قبـل أن يطلبـه مـن أبيـه ، وكان هـذا تحـول رائـع مـن أنـداد لحلفـاء فى حلـم واحـد

، وافق الزعيم وخرجا لأول صيد بالطوف ، وعادا محملين بأسماك كبيرة تكفى القبيلة كلها لأيام طويلة ، طلب آخرون الإذن بصنع طوف جديد لهما ثم طلب آخرون ذلك حتى أصبح لكل رجلين فى القبيلة طوف ، فقد بعض الرجال رماحهم فى الصيد ، بعضهم أفلتها والبعض الآخر رحل به السمك ، فاخترع أحدهم اختراعا جديدا ، قام بربط الرمح بحبل فى يده ليحافظ عليه ، فأضاف ذلك طولا للرمح حتى يستطيع أن يقذفه لمسافة أطول ويعيده اليه ، ثم تطور الأمر حينما أبصر أحد الرجال حيوانا يمشى على أرض البحر فنزل لاصطياده بيده ، وفى غمرة هذه الاكتشافات نسى الكل الأشرعة التى نصبت على قمة الجبل ، إلا فو فكان يصعد اسبوعيا ليرمم الأوراق ، الى أن خطر له ذات يوم أن يصنع شراعا للطوف، فصنعه من أوراق شجر كبيرة ولم يترك بينها أى مساحه لتسرب الهواء ، و بدا الطوف يتحرك فى المياه أسرع ..

مع كثرة الأسماك فقد الجميع حماسهم للمغامرة و مغادرة الجزيرة، واطمأن الزعيم على حكمه ، ففى وجود وفرة من الأسماك لن يحدث أى نزاع ، فأمر بإزالة الأشرعة ، لأنه رأى أن الجزيرة تحركت بالفعل الى موقع أفضل مليء بالأسماك ووافقه الكل على ذلك، ونسجت العجوز التى أصبحت أحد أصحاب الفضل فى ذلك الاكتشاف حكايات وأساطير خرافية كثيرة ، ولم تنسى بالطبع أن تنسب المجد للزعيم الذى جلب الرخاء لشعبه..

وحده فو أصبح عابسا دائما ، لقد حصل الجميع على مرادهم، حتى سو لم يعد يشاركه الحلم ، فلقد غير الواقع الجديد من تفكيره كثيرا ، هو الآن سيكون زعيما ذو شرعية ، شرعية أبيه وشرعية مشاركته فى الرحلة والاكتشاف ، وبقى فو الوحيد الذى وهب علمه وذكاءه و قوة ملاحظته الى غيره أملا فى مكسب من وراء ذلك ، ولم يحصل على أى مكسب ، لذا فقد عزم على المغادرة، لن يبقى هنا ، سيذهب ليطارد حلمه ..

استيقظ فو مبكرا جدا ، قبل أن تطلع الشمس بكثير ، أخذ الكثير من السمك المملح والمياه ثم تسلل الى الطوف الذى صنعه ..

قرر فو أن يذهب الى حيث أراد من البداية ، الى بيت الشمس و القمر ، الى أى مكان آخر ، أراد أن يرى العالم ، ولم ينتظر إذنا من أحد هذه المرة ..

أوقفته يد تربت على ظهره ، إنه سو يريد أن يذهب معه ، لقد خالف توقعات فو ولم يستكن للمجد الزائف ، سو يريد أن يبنى مجدا حقيقيا يعتز به..

اعتلى الاثنين الطوف وبدءا فى التجديف..

من بعيد خلفهم اختفت يد الجزيرة وتلقفتهم يد المجهول..

***

ترك فو وسو القبيلة كلها خلفهم..

ليس الأشخاص فحسب بل المنظومة بكاملها ، لم يعد لأى من التقاليد معنى ، حتى علاقتهم القديمه تركوها ، تشاركا التجديف وتشاركا الملاحظات و نسى سو خصلته الصفراء تماما ، فى الليل كانت ملاحظه فو وسو أن بيت الشمس والقمر بعيد عنهم دائما بنفس المسافة ، وفى النهار لم يجدا شيئا يلاحظاه ، لم يكن حولهما سوى بحر لا ينتهى ، الى أن أعياهم التعب ، فارتدى كل منهم على رأسه ورقه من أوراق الشجر مثلما فعلت العجوز سابقا ، ارتداها سو أولا ، حتى قبل أن يصيبه التعب ..

ففى قرارة نفسه أراد أن يخفى خصلته الصفراء ليدخل العالم الجديد بشخصه هو ليصنع مجدا حقيقيا و ليس مجدا زائفا .. و تبعه فو ليتقى حرارة الشمس ، نفذ منهم الماء والطعام سريعا ، فمجهود التجديف دفعهم للأكل أكثر من المعدل الطبيعى ، لم يمر وقت طويل حتى فقد الاثنين وعيهما..

***

obeikan.com

انحنى شعاع الشمس ليتجمع وينعكس على خصلة شعر الزعيم الصفراء وهو يخرج من كوخه ، أو هكذا تخيل الزعيم ما يحدث عند خروجه كل يوم من كوخه ..

حيا الشمس بإيماءة من رأسه ، و جلس على مقعده خارج الكوخ يراقب البحر ، تعود على هذه الجلسة طيلة الأيام الماضية منذ ذهب ابنه وفو لاستطلاع بيت الشمس والقمر ، خاب ظنه كثيرا لأن ابنه ذهب بدون اذنه ،لكنه لم يستغرب ذلك من فو بل توقعه عندما رآه ينظر للشراع دائما ، رأى حسرة فو في عينيه ولم يشأ أن يواسيه ، فمن مصلحته أن يذهب فو الى بيت الشمس والقمر ، ومن الأفضل أن لا يعود أبدا ، لكن ذهاب ابنه فطر قلبه ، أخذ يراقب البحر كمجنون ، يهب واقفا إذا أتت موجة عاليه كأنه يخشى أن تحجب ابنه ، حاول أن يبقى عينه على الشاطئ كله ، إلا ذلك الطرف الذى تشغله العجوز والأطفال ..

لم تكن العجوز تجلس على الشجرة المنحنية كعادتها ..

بل كانت تتحرك وتقفز وتقوم بحركاتها البهلوانية ..

ضاق ذرعا بتصرفاتها أكثر من مرة وعدم مراعاتها لحزنه ووبخها لذلك ، لكن هيهات أن تنتهى العجوز التى دبت فيها الروح مرة أخرى وولدت كطفلة صغيرة ..

انهمر المطر غزيرا ومفاجئا ، أخذت العجوز تدور حول نفسها و هى فاتحة ذراعيها ، و فاغرة فمها للماء ، فمن معتقدات القبيلة

أن المطر هو ماء السماء ، و لذلك عليهم أن يستزيدوا منه لأنه هو الذى يجعل الإنسان ينمو ، إلا إذا صاحبه رعد وبرق فيكون فى هذه الحالة لعنه عليهم أن يجتنبوها ، لم يمهلهم البرق كثيرا فأتى مفاجئا ليضرب بقرة فيرديها ميتة فى الحال ، انتفضت العجوز وأوقفت الدوران وصرخت بصوت أعلى من الرعد : أحدهم قآدم ، أحدهم سيعيش ، ركض الصبيه سريعا الى أكواخهم ونهت العجوز أى شخص عن اخفاء الحيوانات ، صرخت فيهم : اتركوهم ليستبدلوا روحا أخرى ..

نحتاج روحا أخرى، خاطبت السماء هذه المرة..

ثم أخذت تدور حول نفسها وهى منحنية للخلف ، لتسمح بأكثر مساحة تعرض للماء ، و تبعتها زوجه فو بنفس الحركة ، ثم تبعها نساء آخرون ، لسبب غريب أحسوا بنشوة ، لنفس السبب الذى تشعر به النساء بالسرور وهى ترقص حتى ان كانت لا تجيد الرقص ..

لكن العجوز لم تكن تقصد بهذه الحركة سوى أن تُعرض نفسها للرعد ، لم تكن تريد الانتحار ، كانت تريد أن تعطيهم حياة من حيواتها التى تقتنع أنهم كثر .

عندما هدأت العاصفة كانت العجوز ما زالت تصرخ : أحدهم سيعيش ، أحدهم سيعيش ..

فهم الجميع من ذلك أن أحد الغائبين فو وسو سيعيش ، سيتولى

البرق منحه روح البقره ليعيش ..

لم يتجرأ الزعيم بأن يقوم بإعطاء أمر للبرق بمنح الروح لابنه ، أسرها كرغبة فى نفسه ، لكن لم يجرؤ على اعلانها ..

فليس هناك مغزى من فقد الابن والهيبة معا ..

لم يمر يومان على ذلك حتى قذفت المياه بالطوف الى قرب الجزيرة، وتسابق الرجال جميعا لإحضاره ، وجدوا عليه فو وسو فاقدى الوعى ، فى حالة قريبة للموت

اقترب الزعيم من ابنه وأخذ يده ليضعها على أذنه فلم يسمع شيئا ، لم تنتظر زوجه فو واقتربت من زوجها فلم تسمع شيئا هى الأخرى

قبل أن تتمكن نظره الأسى على وجوههم من أفراد القبيلة صرخت العجوز بحزم :

- احدهم سيعيش

نقل الاثنان الى كوخ العجوز ، عندما اختلت بهم تفحصت أجسادهم لترى من منهم ضربه البرق ليمنحه الروح فلم تجد فى جسدهم أثرا ، جلست بجانبهم تراقب بطونهم ، لم تجد حركه تذكر

وضعت يدها على مكان روح القمر التى بداخلهم ، ثم أخذت بكلتا يديها تضغط على بطونهم ثم على مكان روح القمر ..

حاولت العجوز أن تطرد روح الموت منهم

انتفض جسد فو وتقيئ ماءا كثيرا لكن بقى فاقدا للوعى ، رأت

حركه خفيفة منتظمة تخرج من بطنه الآن ، اجلسته نصف جلسة وسكبت فى فمه عصير من ثمرة جوز الهند ، ثم تركته والتفتت الى سو ، اخذت تفعل الشيء نفسه معه لكن لم يستجيب ..

خرجت الى القبيلة لتعلن صدق نبوءتها ، لقد عاد أحدهم ..

استيقظ فو في اليوم التالى ، سقته العجوز جرعة أخرى من ثمرة الحياة ..

خرج فو من الكهف ورأى جميع من فى الجزيرة ورقة الشجر التى يرتديها على رأسه تخرج من الكوخ أولا ، لم ينظر فو الى أحد من القبيلة أولا ، بل نظر الى أعلى ، الى الشراع القائم على الجبل ليجده أصبح خاويا من الأوراق ، مجرد شجره مجرده من الفروع والأغصان تماما كحلمه ..

لم يخلع فو ورقه الشجر من على رأسه ولم تذبل هذه الورقة أبدا

وأبقى الزعيم ابنه أياما فى كوخه قبل أن يسمح بدفنه ..

فلقد أفتى أحد الرجال بأن البقرة التى ضربها البرق كانت كبيرة وربما تكون منحت الحياة للاثنين ..

كان الزعيم على استعداد لتقبل أى فكره ..

ولم تكن الفكرة سخيفة بالنسبة له كما تبدو لنا ..

استسلم الزعيم لفكرة موت ابنه بعد أيام ..

وأخذ يصب لعناته على البرق ، لأنه أكل باقى روح البقرة ولم يعطها لابنه ..

جلس فو كثيرا بجانب سو ، و جلست العجوز وأخذت تهمهم كثيرا وطلبت من فو أن يتحدث الى سو مثلها ، فى داخل نفسه بدون فتح فمه ، لأن هذه هى لغة الموتى ..

عندما نظر اليها فو باستغراب أردفت مفسرة ، أن روح الحياة قد ذهبت لكن روح الموت حلت فى الجسد ..

تقبل فو الفكرة بسرعة فمن لم يدرك حدود الموجود لن يدرك بالضرورة امكانية غيابه ..

لم يحتمل الزعيم رحيل ابنه فمات كمدا بعد أيام قليله ..

ورشحت العجوز فو ليكون الزعيم فهو صاحب فكرة الشراع التى جلبت الأسماك للجزيرة ..

وهو المختار الذى منحه البرق حياه جديدة ..

وقد أثبت فو منذ أول لحظه أنه زعيم بالفطرة إلا أن موهبته فى الزعامة تجلت فى أول موسم لندرة الأسماك ..

اقترح فو على الرجال جميعا الصعود معه الى أعلى قمة الجبل ليرمموا الشراع ، حتى تتحرك الجزيرة الى مكان أفضل ولا يطول موسم الندرة ..

كان من الممكن طبعا أن يفعل فو ذلك بنفسه ..

لكنه أراد أن يشرك الجميع فى النصر حتى يصبح لكل منهم حكايته التى يرويها ..

والتى فى النهاية تصب فى صالح حكمه الزعيم فو وحسن قيادته

للقبيلة ..

وبمرور الوقت أصبح هذا الطقس يشبه مراسم الحج السنوى ..

لذلك فإن فو أمر النساء والأطفال بالصعود فور أن ينتهى ترميم الشراع ، فيقضى الكل ليله فى طقوس احتفالية تبرعت العجوز باختراعها ، وبعد ذلك ينزل الجميع الى الخليج

و يبقى هو والعجوز فقط حتى يطمأنا لحسن سير الجزيرة ..

وصادف فو فى احدى مرات مكوثه هناك ذلك الحيوان الغريب الذى قاده لكشفه العظيم ، فاصطاده بسرعة ..

لم يكن يريد أن يكشف هذا الحيوان أى سر لغيره ..

لكن غرض فو الحقيقى من بقاء العجوز هو الاستماع اليها ، فهى كانت تعلم الكثيرعن العلاقات بين أفراد القبيلة ..

ولم يكن فى وسع فو ان يستمع اليها كل يوم أو أسبوع أو شهر ، حتى لا يظهر بمظهر المنقاد تحت توجيهها ، لذلك فقد كانت هذه المهله قبل نزولهم للخليج تفيده جدا فى معرفه ما لم تقدر عينه على ملاحظته ..

بالطبع فإن فو اهتم أكثر بمعرفة طريقه العجوز فى الملاحظه ، و طبق ما تعلمه منها كل مرة ..

فهو لم ينس أبدا أنها كانت الوحيدة التى لاحظت اكتشافه وتحلت بالحكمة لتتركه يكمله وحده ، ولم ينس أيضا حكمتها فى تمثيل المعارضه ..

فلـم يكـن قعـود فـو عـن حلمـه فى الرحيـل يعنـى انـه تخـلى عـن موهبتــه فى الاكتشــاف ..

أمـا العجـوز فكانـت تقـضى أوقاتـا كثـيرة تتحـدث الى ذلـك النجـم الـذى تحسـبه زوجهـا ..

وشـاركها فـو مـرة عندمـا طلبـت منـه أن يجلـس معهـا ويوجهـوا رسـالة للنجـم معـا ..

طلب فو من النجم ان يحكى عنه لمن سيأتوا بعده..

ثم أمال راسه للارض وطلب منها أن تحكى عنه أيضا ..

لم يفكـر فـو فى اطـلاق اسـم عـلى جزيرتـه حينهـا ، لكـن الجزيـرة تمنـت ذلـك حقـا ..

openkan.com

موعد مع نجم

عندما جلس العلماء اليوم بعد انتهاء العمل لتأمل النجوم لم يكونوا يعلمون دقة التوقيت والمصادفة العجيبة التى تحدث لهم الآن..

المصادفة أنهم وصلوا فى موعد وصول رسالة النجم الذى كان فو يراقبه ..

فعندما تطلع فو الى هذا النجم ليطلب منه أن يحكى عنه ، كان النجم قد غادر موقعه من سنين ..

لكن النجم كان يرى فو من مكانه الجديد..

و حاول أن يبعث فى أشعته رساله لفو ، لكن هذه الرساله لم تصل سوى الآن لتستقبلها البعثة ، لم يكن النجم يدرى إن كانت رسالته سيفهمها العلماء أم لا ، لكنه أرسلها على أى حال ..

فالنجم قد وعد فو بأن يحكى عنه ، لكن لم يكن يقدر أن يعده بأن يفهم من استقبل الحكاية ..

جلس العلماء فى نفس المكان الذى جمع فو والعجوز..

تعاظم احساسهم بالجهل الآن ، أو على الأقل بعدم التوفيق..

لم يعثروا داخل القبر سوى على بعض العظام التى تشكل هيكلا

obeikan.com

بشريا واحدا ، هذا سيقودهم الى تحديد شكل وبنيه صاحب العظام وبعض التفاصيل الصغيرة الأخرى لكن سيبقى ما حدث متروكا لتفسيرهم فالعظام لم تبح بكل اسرارها لنا بعد

اذهلهم كيف بقت هذه الشجرة بدون فروع حتى الآن ، فليس هذا طبيعى ، فالشجرة لم تمت بل حافظت على بنيتها جيدة جدا لكن لم تنبت فروعا جديدة ..

صدر أزيز غريب مع وصول رسالة النجم ، أنه صادر من جهاز كشف الكذب الذى أوصله العلماء بالشجرة المجردة من الفروع سجلت الآلة ذبذبات غريبة ثم توقفت ..

أمسكها العلماء بأيديهم وأخذوا يحاولون تفسيرها ثم طووها ووضعوها بجانب كل ما جمعوه ..

أقروا داخلهم بصحة وجهة نظر آدم ، أن هذه الذبذبات ستبقى بالنسبة لهم مجرد ذبذبات لا يستطيعون تفسيرها ..

إن آخر ما قد يخطر ببالهم أن هذه الذبذبات هى رسالة من نجم بعيد يحكى لهم عن ما جائوا هنا لفك أسراره ..

عندما انتشى أحد العلماء قام من موقعه وبدأ بالرقص قليلا

فحذرهم الشرطيان المسئولان عن تأمين الموقع من أن يدبوا بأرجلهم على الأرض ، فقد فعلوا هم ذلك واحسوا كأن الأرض والأشجار تتحرك كلها ، أخبرهم العلماء أنهم يعرفون ..

إلا أن عالما آخر سألهم هل حدث هذا هنا فقط أم فى الجزيرة

كلها، أخبره الشرطيان أن هذا ما أخبرهم به أفراد المناوبة السابقة.. فدبت العالمة بأرجلها على الأرض وأحست فعلا بالحركة هذه المرة، طبعا كان النبيذ الفاخر الذى تركه آدم هو ما ضخم هذا الإحساس، عموما هى لم تكن حركة بالمعنى المألوف بل كهبوب نسمه هواء على الأشجار و كدغدغه للأرض لم ترقى لمستوى زلزال أو توابعه كرروا الدبدبة كل بدوره فى أماكن متفرقه ، ودونوها فى دفاترهم لكن لم ترق مثل باقى الأدله لتكوين نظرية عما حدث ..

نقلوا جهاز كشف الكذب من الشجرة الكبيرة لأكثر من شجرة و وجدوها جميعا تسجل ذبذبات ما مع دبات الأرجل ..

قرروا بعد مداولات عدة إنهاء عملهم هنا على أن يحملوا أدلتهم، التى اقتصرت على الهيكل العظمى فقط وبعض الملاحظات وسجلات آلة كشف الكذب الى الكلية ليقوموا بدراستها هناك..

***

obeikan.com

استيقظ فو متأخرا قليلا ، فهو الآن زعيم القبيلة الذى لا تجرؤ يد الشمس على دخول بيته أو لسعه ..

ارتدى تاجه المصنوع من ورقة شجر لا تذبل ، وانحنى وهو يخرج من الكوخ ، ليرى الجميع الورقة تخرج أولا ، وقد حلت الآن محل الخصلة الصفراء ..

نظر فو الى أعلى كما يفعل كل يوم ليجد شجرة الشراع المجردة

أعلم أنك تحس بالأسى ناحيه فو ، وهو ينظر الى حلمه الذى لم يبقى منه إلا شجرة طويلة مجردة تشبه الخازوق ..

لكن كلنا لديه فى مكان ما فى حياته اكتشافا كبيرا طوعه ليبلغ به حلمه ، ثم لم يبقى منه إلا شجرة مجردة من الفروع ..

كانت فيما سبق ..

شراعا من أوراق الشجر ..

***

obeikan.com

عندما مات فو دفنه ابنه فى ضريح أقيم حول الشجرة المجردة من الفروع ودفن معه ورقة الشجر التى كان يرتديها على راسه ولم تذبل أبدا ..

وبقيت فى عهده وفى عهود بعده مراسم الحج فى موسم ندرة الأسماك ..

لكن لم يحكم نسل فو القبيلة كثيرا ، فتم تنصيب زعيم جديد ..

إدرك الزعيم الجديد من أول حكمه أنه لا سبيل لمنافسه فو ..

حاول أن يطمس تاريخ فو لكن لم يجد سبيلا لذلك ..

فوجد أن الحل الوحيد هو تمجيد فو ..

أو بالأصح إخراجه من التصنيف ، لأعلى أولأسفل لا يهم ، المهم إخراجه من التصنيف كزعيم ..

فاعلن الزعيم الجديد أن فو لم يكن زعيما بل كان إلها ..

واستمر الزعيم الجديد فى تنظيم رحلة الحج بنفس الطقوس ..

زاد عليها أن الطقوس أصبحت تحدث على ضريح الإله الذى كان يحيا بينهم ، على ضريح فو ..

ومع مرور الوقت اكتشف الزعيم الجديد أنه بإعلان فو إلها تخلص من معضلة كبيرة كانت ستهدد حكمه ..

معضلة توجيه الجزيرة ، فهو لا يعرف أسرار توجيه الشراع ..

فقد كانت حكرا على نسل فو ، وقد هرب آخرهم بعد توليه الزعامه خوفا من بطشه ..

obeikan.com

لذلك فقد ثبت له أن خروج فو من المقارنه شيئا جيد جدا ..

عـلى النـاس أن يبتهلـوا لفـو لتوجيـه الجزيـرة لمـكان أفضـل وأوفـر أسـماكا ..

فإذا وصلوا شكروا فو ومجدوا الزعيم ..

وإذا لم يصلوا وجدوا من يلعنوه بعيدا عن الزعيم ..

لقـد مـات فـو لكـن اسـمه وحلمـه فى الرحيـل لم يمـت ، فبعـد أجيـال نجـح بعـض نسـله أولا ثـم بعـض أفـراد القبيلـة فى الرحيـل ..

وقـد هداهـم تفكيرهـم وقتهـا أن يذهبـوا الى بيـت مغيـب الشـمس والقمـر لا الى بيـت خروجهـم ، فهنـاك سـيكون اصطيادهـم أسـهل بعـد أن تتعبهـم الرحلـه ، ونجحـت الفكـره و وصلـوا بالفعـل الى جـزر أخـرى لكـن لم يعـودوا أبـدا الى قبيلتهـم ..

لكـن حكايـات مـن رحلـوا عـن الجزيـرة نبهـت غـزاه آخريـن و قراصنـة الى وجـود الجزيـرة..

عندها فقط تحقق الحلم ..

حلم فو وحلم كل أفراد الجزيرة ..

فعندمـا وصـل اليهـا الغـزاة هـذه المـرة اسـتعبدوا كل مـن فى الجزيـرة وأخذوهـم معهـم و تركوهـا خاويـة ..

لا أدرى بمـاذا يمكـن أن يوصـف الغـزاة الذيـن اسـتعبدوا وقتلـوا أهـل الجزيـرة ، غالبـا سـتذكرهم كتـب تاريخهـم بأنهـم متحضريـن وسـتصف أهـل الجزيـرة بالغوغـاء الهمـج البدائيـين ..

obeikan.com

فكـما تعلمـون أن كـون الشـعب متحـضرا ينعكـس حتـى عـلى أكـثر أفعالهـم قـذارة ووحشـية ..

أمـا أهـل الجزيـرة الذيـن رحلـوا سـواء اسـتعبدوا أو اسـتقروا فى جـزر أخـرى أبقـوا الجزيـرة حيـة فى الـتراث الشـعبى وتناقلـوا عـن فـو بعـض الحكايـات التـى زادت وزادت و دونـت لتصبـح إرثـا تراثيـا كبـيرا .. أكبر بكثير مما حلم فو ..

فحتى أحلامنا تحدها حدود قدرات عالمنا ..

***

opeikan.com

رسى اليخت الفاخر لرجل الأعمال المحلى آدم أمام الجزيرة ..
نزل منه آدم ، ليعاين قصره الجديد ..
نعم قصره ، فبعد أن تبين عدم جدوى الجزيرة اقترح آدم على الحكومه شرائها و بنى عليها بالفعل قصرا على الشاطئ الرملى الصغير يواجه الخليج ..
كما تبين عدم جدوى عظام فو فى منح الحياة الأبديه ، حدث ذلك طبعا بعد سرقه قطع منها ، ثم اختفت باقى العظام كلها دفعة واحدة ..
فى مقدمة القصر أنشأ آدم منصة صغيرة من الزجاج يعلوها صندوق صغير من الكريستال اللامع ..
وضع فيها آدم ورقة الشجر التى أخذها خلسه المساعدين الذين أرسلهم مع البعثة الاستكشافية من قبر فو ..
انتحى جانبا بعد أن وضع الورقه وتركها تتلألأ فى الصندوق الزجاجى ووقف ورائها مواجها الخليج ..
ناظرا الى نفس المشهد الذى رآه أجداده قبل الخروج من الجزيرة وفرحا بأنه حقق أخيرا ما أوصاه به أجداده بأن يستعيد جزيرتهم.

..تمت..

openkan.com